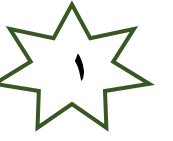


خُمْسُونَ رُؤْيَا إِلَى كَهْفِ الْفُتَيْيَةِ

تصنيف

د. حمزة بن فايح إبراهيم
آل فتحي عسيري





المفتاح

الحمدُ لله ، نشرَ لعباده رحماتِهِ ، وأفاضَ عليهم من بركاتِهِ ، ويسّرَ لهم من أمرهم عطاءاتِهِ ، وصَلَّى اللهُ وسلَّم على خيرة رسله وأنبيائه ، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين...

أما بعد:

فكثيراً ما تجذبنا سورة الكهف بروعة أحداثها ، وجمالِ قصصها ، وسنية تردادها أسبوعياً ، لا سيما وفواتحها عصمةً من الدجال ، وهو البلاءُ الشديد ، والفتنةُ الكبرى في آخر الزمان ، وفي ثناياها قصصٌ وحكمٌ . وفي صبيحة الجمعة تسمعُ ترنمَ الناس بها ، فقلتُ في نفسي : لماذا لا نتدبرها كثيراً ، ونغوصُ في



دروسها، ونقفُ على عظاتها، وقد نوqشت بحمد الله في المحاضرات وبعض الومضات الصوتية، ونُشرت مقالاتٌ في دروسها وفقهها.

وهنا نحبذُ الوقوف مرةً أخرى من خلال مقالات مختصرة، ولمحات موجزة، نعتُها "خمسون رؤية إلى كهف الفتية".

نلامسُ معانيها أكثر، وندققُ في ملامحها وهداياتها، فلا تزال ترنُّ في آذاننا كلَّ جمعة، ونقرأها دائماً، فهي تستحقُّ منا التفاتةً كبرى، ومزيداً من الذكرى والنجوى، حتى نحظى بملذات التدبر، وملهمات التفكير.. (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَقْفَالُهَا) سورة محمد.

فافتح فؤادك للذكرى وللنسم * * من دوحه الكهف والآيات والقيم

كهفٌ عظيم له في كلِّ ناحيةٍ * * درسُ الوجود بلا ضيقٍ ولا سقمٍ
تذاكروا رحمةً حطَّت فأورقهم * * حبُّ الإلهِ ورشدٌ غيرُ مُنصرمٍ

فأحببنا هنا أن نفتحَ نوافذَ ورؤى جديدة، توثقُ صلتنا بالقرآن
ومحاسن تدبره، من خلال سورة الكهف، "وقصة الفتية البررة"
، فعلقنا نحو (٥٠) خمسين رؤية، تكشفُ دروسها، وتستلهمُ
عظاتها، وتُزجي عبرها، بحيث تكونُ طريقاً لتسهيل قضية التدبرِ
الكبرى، ومفتاحاً للغوص في أسرار الكتاب العزيز، الذي قالت
السورة عنه في أولها: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ
وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) آية: ١ . وفي أثنائها (وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ
مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا)
آية: ٢٧ . وفي وسطها: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ

كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (آية : ٥٤ . وفي آخرها :)
 أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ
 لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (آية : ١٠٥ .

والإبحارُ العقلي في هذه السورة ، ممتعٌ وجميل ، لما فيها من
 العجائب والأسرار ، التي لولا حديثُ القرآنِ عنها لكانا في
 اندهاش غيرٍ مسيطرٍ عليه ، ولاستنكر بعضنا ذلك ، لا سيما
 والروايات كثيرة ، والأحاديثُ متناقلة ، ويكفيك هنا فيها وفي
 أمثالها.. (نحن نقصُّ عليك نبأهم بالحق) .

فسطع الحقُّ بجماله ، وأنارنا ببراهينه ، وأشرقَ فينا بمحاسنه ،
 التي تتناغمُ مع العقل ووضوحه ، والمنطق وسلاسته ، ولذلك
 تلقفها العقلُ البشري بالقبول ، وصمدت كصمود القرآنِ وتحديه
 الفكري والعقدي عبر الأزمانِ ... (قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

وَالْحِجْنُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) سورة الإسراء : ٨٨ .

وقال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا

مَّا آتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) سورة السجدة .

وما ينبغي لنا التغافل عن كتابٍ جليل هذا وصفه ، لا سيما

وقصصه حق ، وأحاديثه حسنة ، ومواعظه مستطابة ، فهلموا نلج

كهف الفتية الشبية ، ونطالعه وأسرارهم ، وندخله متأملين

عجائبه ومرامزه ، وما أودع فيه من رحمت وبركات ، علنا نظفر

بدرسهم العميق ، وتذكارهم العتيق ، والله الموفق والهادي إلى

سواء السبيل .

محايل عسير

٥ / ٢ / ١٤٤٠ هـ

٨ / الآيات العَجَب:

(كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)

● دقت في نفوسنا بعجائبها، ومن أشدها في الحس الإنساني
منامهم الطويل ، ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعًا. ولا يستطيع
إنسان ان ينام حاليا يوما كاملا بلا تقطع الا تحت البنج
والمخدرات ..

● ومع عجبها وغرابتها، يستنكر الله على عباده قلة التفكير في
الكون العجيب، والخلق الجميل ، والإبداع المنير. فامرهم
ليس عَجَبًا فِي قُدْرَتِنَا وَسُلْطَانِنَا، فَإِنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَسْخِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَالْكَوَاكِبِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ

اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ عَجَبٌ
مِنْ أَخْبَارِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ .

- فأين من يتفكر ويتدبر، ويعيش في آيات الله الكونية الدالة على قدرته ووحدانيته تبارك وتعالى ، وخلقه المتنوع المدهش في الكون والكائنات ، والبراري والبحار، والزهور والأشجار ، والأطعمة والمنتفعات .. واما قلّ من تأمل منا ودققها، وانتفع بدرسها الإيماني والتوحيدي..
- وعجبتهم من نوم طويل، ونفوس جائعة ، وأجساد هاربة، آواهم كهف مخيف، وملجأ عنيف في هوة جبل ، ولم تتفكروا فيما هو اعظم من ذلك كآيات الكون ، وكيف حفظهم الله وصانهم، وحملهم من كل عادٍ وعابث .

• **ولله في الكون آياتٌ تستدعي أولي الأبصار والنظر، أن**

يتفكروا فيها، ويزدادوا بها إيماناً و يقيناً ورشداً . قال العلامة

ابن القيم رحمه الله: "فالحيرُ والسعادةُ في خزانة؛ مفتاحها

التفكّر...، التفكر الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة

اليقظة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة، ومن ضيق

الجهل إلى سعة العلم ورَحَبه ..". وقال الحسن رحمه الله في

فضله: "تفكّر ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلة، وقال - في قوله تعالى:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] - قال: أمنعهم التفكير فيها. ولا بن

القيم رحمه الله أيضاً: " فالتفكر يُوقِع صاحبه من

الإيمان، على ما لا يُوقِعه عليه العملُ المجرد".

٢ / فتية شباب..

(إذ أوى ألفتية إلى الكهف)

- فهم فتيةً شبانٌ، قد تهلّل شبابُهم ، وبزغت زهورُهم، فليسوا شيوخاً ولا أكابر في العمر والخبرة والتاريخ ، ولكنهم فتيةٌ متشوقون للحياة ، وكبارٌ بإيمانهم وتوكلهم على خالقهم تعالى، آثروا الإيمانَ على الشرك ، والهدى على الضلال، فخرجوا هارين بدينهم من بطش قومهم ...

شبابٌ ذلّوا سبل المعالي ** وما عرفوا سوى الإسلام دينا

تعهدهم فأنبتهم نباتاً ** كريماً طاب في الدنيا غصونا

● **والفتى هو الشابُّ أوَّلُ شبابه** ، بين المراهقة والرُّجولة ،

يتميز بالقوة والجزالة ، فهم صغارٌ في حس الناس ، ولكنهم

مكتملو الرجولة والاستعداد لتحمل المبادئ ، والثبات على

القناعات ، وقد كانوا أبناء أشرف الرومان وعظمائهم ، ولم

تُغرهم زينةٌ ، ولا ألتهم ثروة .

● **فأووا إلى مكانٍ اعتقدوا فيه منجاتهم** ، وأنه في تعامٍ عن

بلوغه والوصول إليه ، وقد ألهمهم الله ذلك ، لأنه لا يكون في

الكون إلا ما قدَّره ويسره .

● **والكهفُ مع ضيقه وظلمته وهو المتوقع** ، لم يترددوا في

ولوجه ، توفيقاً من الله ، أو كانوا مستعجلين ، فأوه قاطرةً

نجاة سريعة .

• وفي الإيواء إلى الكهف دليلٌ على جواز الفرار بالدين ،

والحفاظ على الأرواح ، ودرء الفتنة ، واتقاء شر الظالمين .

• وكونهم فتياناً وقد تحملوا ما تحملوا، برهانٌ على فضيلة

الشباب وقدرتهم على المواجهة واحتمال المخاطر والعمل

لله ولدينهم ، والمهم لهم حسنُ التربية ، وترسيخ العلم

ومعاني الإيمان في قلوبهم ، وتقليدهم قيم الإسلام الفاضلة ،

والله الموفق .

٨٣ الاستعصامُ المبدئي:

(فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً)

• استعصامٌ مبدئي ، وتعلقٌ أولي بخالقهم، أن لا يكلهم إلى

أنفسهم ، وأن يُجبرهم من هذا البلاء ، ويكون بهم رحيمًا ،

يخصهم بفضله ، ويكلؤهم برحمته . ولذلك من أول

دخولهم بادّروا بالابتهالِ إلى الله، واستغاثوا بربهم ، وهذه

طبعة المؤمن ، يدرك أن لا ملجأ من الله إلا إليه .

• وفيها فضلُ الدعاء وسؤال الله على كل حال، وديمةُ التعلقِ

به، ودَعَاوا اللهَ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ رَحْمَةً مِنْ لَدُنْهُ، وَذَلِكَ جَامِعٌ لِخَيْرِ

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَي أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ تُنَاسِبُ

عِنَايَتُهُ بِاتِّبَاعِ الدِّينِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَتَثْبِيثِهِمْ عَلَى الْحَقِّ ،
وَتَأْمِينِهِمْ فِي هُرُوبِهِمْ، وَحِفْظِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالنِّكَالِ .

● **وَرَحْمَةُ اللَّهِ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لَهُ ، وَهِيَ رَقَّةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى**

المرحوم، وقد وسعت كل شيء، وللمؤمنين منه رحمة

خاصة، ومن أسمائه تعالى: الرحمن الرحيم، قال ابن

عباس رضي الله عنهما: "هما اسمان رقيقان، أحدهما أرقُّ

من الآخر، أي أكثر رحمة". وفي الحديث الصحيح: (وقد

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لما قضى الله الخلق، كتب

كتاباً عنده: غلّبت، أو قال: سبقت رحمتي غضبي، فهو عنده

فوق العرش).

• **ولذلك من رحمة الله تعالى بعباده رعايتهم، وسعة الأرزاق**

، وأن رحمته سبقت غضبه، وأن من تقرب إلى الله شبرًا

تقرب منه ذراعًا، ومن تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا، ومن

أتى ربه يمشي أتاه هرولة ، ومن لقي ربه بقراب الأرض

خطايا وهو لا يشرك به شيئًا لقيه بقرابها مغفرة ، ومن دعاه

أجاب، ومن استنصر به نصره، وفتح عليه من أبواب فضله

وجوده .

• **ومن أدعية الرحمة التي علمها لبعض صحابته عليه الصلاة**

والسلام : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي وعافِنِي وارزُقْنِي وجمع

أصابعه الأربع إلا الإبهام فإن هؤلاء يجمعون لك دينك

ودُنْيَاكَ). **والله الموفق .**

٤ / فضل الرشد :

(وهي لنا من أمرنا رُشداً).

• الرشدُ نوعٌ من الهدى والسلامة من الآفات ، فسألوه تعالى

الرحمة أولاً، وثنوا بطلب الرشد ثانياً (وهياً لنا من أمرنا

رُشداً) أي: أرشدنا إلى ما يُقربنا منك، والمعنى: هيئ لنا من

أمرنا ما نصيبُ به الرُشدَ والخير والسلامة . والرُشدُ،

والرَّشْدُ، والرَّشَادُ: نقيضُ الضَّلالِ والغِي .

• ومن لم يرشد في الحياة، ضلَّ وزاغ وتاه، ولذلك صح من

أدعيته صلى الله عليه وسلم : (اللهم ألهمني رُشدي ، وقني

شرَّ نفسي). ولما كان أمرهم محلَّ قلق ورعب ومطاردة،

وفيه تضطرب العقول، ناسب سؤاله تعالى الرحمة والرشد،
الذي ينضبطُ به السلوك ، وتعرفُ الوجهة .

● والرشدُ مطلوبٌ في كل مناحي الحياة وسبلها وجهاتها،

وتتشدُّ الحاجة أيام أيام الزيغ والقلق والانحرافات ، لأنه نورٌ
وهداية ، وحفظٌ وصيانة، فكم من سائر في الحياة فاته الرشد
والطريق، وظن أنه يُحسن عملاً، أو اغتر بعقله وصحته،
فركن إليها ، فحُرم التوفيق والسداد، وتناثرت عليه المهام
والأعمال .

● وفي الرشد توفيقٌ للطاعات وسلامةٌ من المعاصي ، وتلذذ

بالخير ، وكراهةٌ لكل طرق الانحراف ، قال تعالى : (وَلَكِنَّ

اللَّهُ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) سورة الحجرات

. ويتحقق الرشد بطاعة المولى والتزام طريقه المستقيم ،

والعزيمة عليه، والمحافظة على النهج ، والتباعد عن

المخالفات ، ومجالسة الخيار، وسؤاله على الدوام .

• **ومما يروى في المسند وأسألك:** (العزيمة على الرشد) .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : "فإن كمال العبد بالعزيمة

والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص ،ومن كانت له

عزيمة ولكن لا ثبات له عليها ، فهو ناقص ، فإذا انضمَّ الثبات

إلى العزيمة ، أثمر كلَّ مقام شريف وحال كامل، ولهذا في

دعاء النبي الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ»



ومعلوم أن شجرة الثبات والعزيمة لا تقوم إلا على ساق

الصبر). واللهُ الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

٥ / النوم الهنيء:

(فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) .

- بعد إيوائهم الكهف واستقرارهم نفسيًا ، بسط الله لهم من رحمته، وأزجى لهم من فضله ، وسكن روعهم بنوم هنيءٍ طويل... لا يخطرُ على البال ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ أي: ضْرَبْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا يَمْنَعُ السَّمَاعَ ، ويحول دون إزعاجهم ، والمُرَادُ أَنْمَانَهُمْ إِنَامَةً ثَقِيلَةً لَا تُنَبِّهُهُمْ فِيهَا الْأَصْوَاتُ ، بِأَنَّ يُجْعَلَ الضَّرْبُ عَلَى الْأَذَانِ كِنَايَةً عَنِ الْإِنَامَةِ الثَّقِيلَةِ ، وَإِنَّمَا صَلُحَ كِنَايَةً لِأَنَّ الصَّوْتِ وَالتَّنْبِيهِ طَرِيقٌ مِنْ طَرِيقِ إِزَالَةِ النَّوْمِ ، فَسَدُّ طَرِيقِهِ يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْكَامِهِ ، وَأَمَّا الضَّرْبُ عَلَى الْعَيْنِ وَإِنْ كَانَ تَعَلُّقُهُ بِهَا أَشَدَّ فَلَا يَصْلُحُ كِنَايَةً ؛ إِذْ لَيْسَ الْمُبْصِرَاتُ

مِنْ طُرُقِ إِزَالَتِهِ حَتَّى يَكُونَ سَدُّ الْأَبْصَارِ كِنَايَةً وَلَوْ صَلَحَ كِنَايَةً
فَعَنْ ابْتِدَاءِ النَّوْمِ لَا النَّوْمِ الثَّقِيلَةِ.

- وفي الشدائد ينفر النوم، ويتقلص الهدوء، ولا يمكن لك النوم في أجواء مرعبة، وأحداثٍ مخيفة، ولذلك أنامهم تعالى ليرينا فضله وبلوغ رحمته، وقدرته البالغة، وتأمينه العجيب، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو القوي العزيز، (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) سورة يوسف .

- وللنوم لذة بعد التعب والإرهاق والمخافة، كما قال القائل: فألقت عصاها واستقرّ بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر.. وقال عمران رضي الله عنه في قصة

منامهم الطويل: (وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا
 وَقَعَةً وَلَا وَقَعَةَ أَحَلَى عِنْدَ الْمُسَافِرِ مِنْهَا). وَعَبَّرَ بِالضَّرْبِ
 لِيُدْلَّ عَلَى قُوَّةِ الْمُبَاشَرَةِ وَاللُّصُوقِ وَاللُّزُومِ، كقوله: (ضُرِبَتْ
 عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ) سورة آل عمران. فكأنه نوم قهري لا يخلص
 فيه أحد لإيقاظهم أو إزعاجهم .

- والنوم ظاهرة يومية تتكرر في الكائنات ، وهو لها نوع كمال
 ورزق وصحة... قال تعالى: (وجعلنا نومكم سباتًا)
 والسبات أصله الراحة والسكون. فينقطع أي الحي عن
 الحركة والراحة في بدنه. فقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
 سُباتًا ﴾ أي وجعلنا نومكم راحة لكم. تقول لغة: سبت
 يسبت إذا نام لينال ما يحتاجه من الراحة. ويذكر الأطباء

حاليًا فوائد عظيمة له، وافتقار الإنسان إليه كالطعام
والشراب، ولكنه كان في حق أهل الكهف معجزةً باهرةً،
طالت واستطابت ثلاثة قرون وتسع سنوات ، **تمّت لحفظهم
والمنة عليهم، والسلام .**

٦/ البعثُ بعدِ اللَّبثِ الطويلِ

(ثُمَّ بَعَثْنَهُمْ لِتَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ..)

• ناموا النومة الطويلة ، ثم بعثهم الله تعالى بعد السنين

عدداً، والتي عُرِفَت بِالآيَةِ الأخرى أنها "ثلاثمائة سنة

وازدادوا تسعاً" ، وفي هذا دليلٌ على قدرة الحي القيوم،

وصحة وقوع البعث، إذ قد تنازعوا أهل قريرتهم في هذه

المسألة، ثُمَّ بَعَثْنَهُمْ لِتَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا

..وتنازعوا كذلك في مدة لبثهم وغيابهم ، فكم أمدهم ، وكم

كانت غيبتهم.؟! لاسيما وحديثهم عجيب ، وخبرهم مشير

للسؤال والاندھاش وإرسال التخرصات ، ولذلك جاءهم

الفصل من الله في ذلك..

• وكان بعثهم إيقاظاً لهم بعد النوم الطويل ، والعزلة

الفريدة، وقد آمنوا على أنفسهم ، وسترهم الله، وتولى

حفظهم ورزقهم . ومع اختلاف أهليهم ، هم اختلفوا أيضاً ،

لأنهم لما انتبهوا ترددوا في معرفة ذلك وقد كانوا فارين ،

وذلك قوله " قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ " وكان الذين قالوا

ربكم أعلم بما لبثتم: هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول

وزاد . أو أى الحزبين المختلفين من غيرهم، كان أحصى

وأضبط لذلك .

• وفي هذا دليلٌ على أن النوم ميتة صغرى، وأن الأرواح بيد

الله يقبلها ويتوفاها متى يشاء سبحانه وتعالى . كما قال: (الله

يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ

الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (سورة الزمر . وفي هذه الآية

دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف

لجوهر البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها في

الوفاة والإمساك والإرسال، وأن أرواح الأحياء والأموات

تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتحدث، فيرسل الله أرواح

الأحياء، ويمسك أرواح الأموات ، والله تعالى أعلم.

● وفي آية النوم يستحضر المؤمن عظمة الله وقيوميته، وضعفه

بين يديه ، والتجاءه بالحفظ والرحمة .. ومما ورد: (بِاسْمِكَ

اللَّهِمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا) (بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنْبِي، وَبِكَ

أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا،

بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) واللهُ الموفق .

٧/ النبأ الحق

(نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ).

• نعم كان حديثهم نبأً حقاً ، وقصتهم خبراً مؤكداً ، لا يقبلُ

الزيادة ولا الزيف ، قد ظهرت دلائله ، وبانت علاماته (نحن

نقصُ عليك نبأهم بالحق) وفي ذلك طمأنةٌ للمسلم ، بأن ما

يأتيك في هذا الكتاب محلُّه الصدق والتحقيق ، خلافاً لما

ينقله أهل الكتاب من مبالغات وغرائب .

• ولما كانت القصةُ موضعَ جدلٍ ، واختلاف بين أهل القرية

والفتية في العدد والنوم والحكمة ، ناسب أن يفصلَ الله بالقول

الحق ، والنبأ الصدق .. (نحن نقص عليك) فالله هنا هو

الذي يقص ويفيد ، ويعلمنا ويهدينا .

• وكلُّ قصص القرآن نورٌ وحقٌ، وصدقٌ وبركةٌ، كما قال

تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) (إن هذا لهو

القصصُ الحق) (لقد كان في قصصهم عبرة) (فاقصص

القصص لعلهم يتفكرون) (تلك من أنباء الغيب نوحيها

إليك ما كنت تعلمها) (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك

وما كنت لديهم) . واستعمال ناء الدالة على الفاعلين ،

للتعظيم واختصاص الحقيقة من جهته تعالى .

• ولما كانت القصصُ حقاً، كانت محلاً للعظة والعبرة،

وقطف الدرس والحكمة، والانتفاع بها في أحوالنا وحياتنا ،

ففيها عبرُ التوحيد والفرار إلى الله، والتوكل عليه، ودعاؤه

وطلب رحماته ، وإيكال العلم إليه ، وأن الرزق والقبض
والمصير إليه وحده ، تبارك وتعالى .

- وفي التعبير (بالحق) تأكيدٌ لصدق الخبرِ القرآني ، وأنّ
القصة ثابتة مشهورة ، ومطابقة للواقع ، وأن ثمة من يتخبط
ويتخرص فيها ، فينقل ما لا يصح ، أو ينفي ما هو ثابت قائم .
ومن هنا لزم أن لا يؤخذ من القصص إلا ما كان حقاً ، دلت
عليه الأدلة ، أو جاء به العدول النقلة ، وليس كل ما يُنقل أو
يشاع يصلح أن يعمل به ويعتمد .

٨ / فتية مكتملون:

(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى).

- **الآن يفصل خبرهم،** ويكشف قصتهم بعد أن أجملها أولاً ، ويشيد بحالهم ، وأنهم فتية شباب ، قد اكتملت رجولتهم وطابت أخلاقهم ، وصدق توحيدهم وثباتهم ..
- **فامتدحهم هنا بثلاثة أمور: أولها :** أنهم فتیان شباب، فوق المراهقة ودون الكهولة، ولكن رجولتهم بزغت بحبهم الإيمان ، وتعلقهم بالتوحيد، وصحة عقولهم، ورفضهم فعائل قومهم من الشرك والوثنية . وفي هذا دليل على فضل عنصر الشباب وحسن تلقيهم للدعوة، وعظم أثرهم في

العمل والبناء والثبات على الحق . وإذا كانوا كذلك كره
تحقيرهم أو الاستهانة بدورهم ...

- **ثانيها : اختيارهم الإيمان بالله، وتجريد التوحيد له، عرفوه**
بخلقه ودلائله المثبتة لقدرته ووحدانيته . في حين عجز
قومهم إثبات صحة الأصنام ونفعها لهم ... (**وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطَعَّمُونِ**) سورة الذاريات .

- **ثالثها : امتنان الله عليهم بزيادة الإيمان ومضاعفته ،**
والمؤمن أحوج ما يكون إلى ذلك ، لا سيما أزمنة الفتن
والتقلبات ، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصانه، كما
هو مذهب أهل السنة والجماعة . إذ أمدهم الله بفضله وقذف

في قلوبهم نورا وذكرًا وإخلاصًا ، يحملهم على المحبة

والتضحية ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى

وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) وقوله : (إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) .

• ومما يزيد الإيمان عملٌ صالح ، من ذكرٍ وتلاوة ، وصلة

وصدقة ، وبر وفضل ، وخلق وإكرام ، وخضوع وإنابة . قال

أبو الدرداء رضي الله عنه " : لكل شيء جلاء ، وإن جلاء

القلوب ذكر الله عز وجل " ، وقال عمير بن حبيب رحمه الله :

" الإيمان يزيد وينقص . فقليل فما زيادته وما نقصانه ؟ قال :

إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسيناه

وضيعنا فذلك نقصانه " . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

الله : " الذكر للقلب مثل الماء للسّمك ، فكيف يكون حال

السّمك إذا فارق الماء " . والسلام .

٩/ الربط القلبي :

(وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ)

- ما أحوج المؤمن إلى الربط القلبي بالإيمان ، بحيث يثبت ولا يزيغ ، وبتجلد ولا يتبدل ، ويرى أنوار الحق ، فيزداد يقيناً وبصيرة .. (وربطنا على قلوبهم) ... أي شددنا ﴿ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ بالصَّبْرِ وَالتَّثْبِيتِ ، وَقَوَّيْنَاهُمْ بِنُورِ الْإِيمَانِ ، حَتَّى صَبَرُوا عَلَى هِجْرَانِ دَارِ قَوْمِهِمْ ، وَمُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعِزِّ وَخِصْبِ الْعَيْشِ وَفَرُّوا بِدِينِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ ﴿ إِذْ قَامُوا ﴾ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ حِينَ عَاتَبَهُمْ عَلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وتبديل دينهم .

- والقلبُ مناطُ الإيمان والعمل والقوة والانطلاق ، ولذلك كان في إيمانهم المربوط صبرٌ متين ، كلفهم الأمانة ، واحتمال

الشدة ، ومفارقة القوم، وانتقاد الناس ، وفي الحديث الصحيح : (ومن يتصبر يصبره الله) . فصبرهم الله بقوة ، تُصيرهم للثبات ، ورفض كل إغراء وفتنة .

• وفي "ربطنا" كلُّ معاني الحفظ والتأييد والإعانة ، والرَّبْطُ

عَلَى الْقَلْبِ: شَدُّهُ بِرِبَاطِ التَّوْفِيقِ، فَيَتَّصِلُ بِذِكْرِ رَبِّهِ، وَيَتَّبِعُ

مَرْضَاتَهُ، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ شَمْلُهُ، وَهُوَ عَكْسُ الْخِذْلَانِ،

فَالْخِذْلَانُ حَلَّةٌ مِنْ رِبَاطِ التَّوْفِيقِ، فَيَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، وَيَتَّبِعُ

هَوَاهُ، وَيَصِيرُ أَمْرُهُ فُرْطًا، وَحَتَّى نَفْلَحَ فِي حَيَاتِنَا، عَلَيْنَا

بِالرِبَاطِ الْقَلْبِيِّ، مِنْ ذِكْرِ وَطَاعَةِ، وَالتَّزَامِ وَطَرِيقِ، وَصَبْرِ

وَمَجَاهِدَةٍ، وَدَعَاءِ وَابْتِهَالِ، وَمِنْ ادْعِيَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ: (اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)

والله الموفق .

١٠ / القيام المجيد:

(إِذ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

• **لما تمّ لهم الربطُ الإيماني القلبي ، وفقهم الله للقيام المجيد**

والإنكارُ الصريح، والصدع بكلمة الحق ، أمام وجهاء

قومهم، ما خافوا ولا ترددوا .. (إذ قاموا فقالوا ربنا رب

السموات والأرض) .

• **فهذا القيامُ التوحيدي ، والصدع الإيماني ، والدعوة**

الواضحة، والنصيحة الصادقة... وأن ربنا الحقيقي ، يا قومنا

هو الإله الحق، خالق السموات والأرض ، وقد تجلّت آياته ،

وفاضت مناعمه ، فكيف لنا أن نشركَ به أو ندعو سواه ..؟!

(لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١﴾ أَي بَاطِلًا

وَجورًا وتعديًا .

• **فقولُ الباطلِ شطط، وتعظيمُ الشركِ شطط، وتركُ التوحيدِ**

شططٌ وشقاءٌ ، ومجاورةٌ للحد..! وإذا كان قول الباطلِ

وتأييده شططًا وانحرافًا، فالفعل والسلوك الوثني أشد

شططًا، وأشنع انحرافًا ، تأباه الشرائعُ والفطرة الإسلامية .

• **وهذه المقاماتُ العظيمة ، إنما يقفها من تشبّع قلبه بالإيمان**

، وأخلصَ لربه، ونورَ بصيرته، وغار من انحراف الناس

وتألم لهم .

• **ثم عللوا صنيعهم وموقفهم الشرعي بقوله تعالى:**

﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ

بِسُلْطَانِ بَيْنٍ . وطلبهم هنا تعجيزي على وجه التحدي لهم؛

لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ، أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِسُلْطَانِ بَيْنٍ عَلَى

جَوَازِ الْإِشْرَاقِ ، وَالْمُرَادُ بِالسُّلْطَانِ الْبَيْنِ: الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ،

وَالدليل المقنع .

• ولن يجدَ المشركون والكفار عبرَ التاريخ الإنساني دليلاً

على شركهم وانحرافهم، لبطلان ما هم عليه، ولأن

الكائنات كلها ضدهم، فهي تسبح خالقها وتعظمه (وَإِنْ مِّنْ

شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

حَلِيمًا غَفُورًا) سورة الإسراء. والله الموفق .

١١ / الفتية الوعاة : (لونا يأتون عليهم بسُلطانٍ بين)

- ويصلحُ تسميتهم هنا ، بالشباب العلمي المثقف ، طلبة
الدليل ، وأنصار العلم والحجة... (عليهم بسُلطان بين)
أي: حجة واضحة وبرهاناً قاطعاً . والبَيِّنُ: الواضِحُ الدَّلَالَةُ،
ومَعْنَى الكَلَامِ: إِذْ لَمْ يَأْتُوا بِسُلْطَانٍ مَبِينٍ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَدْ
أَقَامُوا اعْتِقَادَهُمْ وَدِينَهُمْ عَلَى الكَذِبِ وَالخَطَأِ، وَلِذَلِكَ نَتَج
عنه قولهم ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ .
- وهذا أصلٌ في طلب الدليل على الحقائق ، كما قال تعالى:
(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) سورة البقرة . وقال :

(اَتُّونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ آثَارَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنتُمْ

صَادِقِينَ) سورة الاحقاف .

• وتكمن أهمية الدليل في زيادة التثبيت ، والقناعة بالحق ،

ونفع الناس ، وردع للمعترض ، وطمأنينة القلب .

• (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) . وهو إنكار ، أي لا

أظلم ممن افترى ، والمعنى : أن هؤلاء افتروا على الله كذبًا ،

وذلك أنهم أشركوا معه غيره في الإلهية فقد كذبوا عليه في

ذلك إذ أثبتوا له صفة مخالفة للواقع .

• ولذلك هؤلاء المشركون كذبة على الله فيما يدعون ، وأنها

وسائطهم إلى الله كما قال : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي

مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)

سورة الزمر . فزادوا على فسادهم نسبة صلتها وقربها من الله،

والله المستعان .

١٢ / العزلة المشروعة :

(وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهَ فَأَوْأَىٰ)

• قرر الفتية الكرامُ اعتزالَ القومِ وشركياتهم، لمّا بدا

الصدود، فتشاوروا في مغادرتهم إلى مكان بعيد ، وهو كهف

الجبل ، ففارقوهم فكراً وأبداناً، وفيه مشروعيةُ العزلة

ووجوبها عند الخوف على الدين ، واستحباب المشاورة في

غالب الأمور كما قال تعالى : (وشاورهم في الأمر) . فقرروا

الذهاب إلى الكهف .

• وأما حكمُ الانعزالِ فمختلف فيه، إلا أنه يتأكد في أزمنة

الفتن والضرر ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "

وجماع ذلك : أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر

والتقوى : فهي مأمور بها ، وإن كان فيها تعاون على الإثم

والعدوان : فهي منهي عنها " . وفي حديث النجاة قال :

وليسعك بيتك ، وقال عمر رضي الله عنه : " في العزلة راحة

من خلطاء السوء " .

• وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " العزلة خيرٌ إذا كان في

الخلطة شر ، أما إذا لم يكن في الخلطة شر ؛ فالاختلاطُ

بالناس أفضل " . وقال أيضا : " من كان يخشى على دينه

بالاختلاط بالناس : فالأفضل له العزلة . ومن لا يخشى :

فالأفضل أن يخالط الناس ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، خيرٌ من

المؤمن الذي لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم).

فمثلا: إذا فسَدَ الزمانُ، ورأيت أن اختلاطك مع الناس لا يزيدك إلا شرا وبعدا من الله ، فعليك بالوَحدة ، اعتزل .. ؛
فالمسألة تختلف،..".

- ولما ذهبوا .. كانوا متفائلين بفرج الله وتوفيقيه، فالانشراح يرفّ عليهم، والبشرى فوقهم .. (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته). وموقنين أنّ الله حفيظهم ونصيرهم ،
والله الموفق .

١٣ / التفاوضُ الملهمُ :

(فَأَوْأِ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ)

• هنا تتجلى ثقتهم بربهم تعالى، وتفاوضهم بأن الفرج قادم،

والرحمة منشورة... (ينشر لكم ربكم من رحمته) . وأنّ

الكهف مع ظلمته ورغبه وانعزاله ، فهو محل رحمة الله

وتوفيقه ، ما صدقنا مع الله وحققنا توحيدَه .

• والتفاوضُ هديّ نبوي معروف، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شخصيةً تفاؤلية ، وتُعجبه الكلمة الطيبة ، ويكره التشاؤم

وذمه . وبرهنوا تفاؤلهم بثقتهم بالله في جانبيين وهم في

كهفهم: الرحمة المنشورة ، وتهيئة الأمر المرفق، أي ما

يرتفقون به . فجمعوا بين التبري من حولهم وقوتهم،

والالتجاء إلى الله في صلاح أمرهم، ودعائه بذلك، وبين الثقة

بأنه سيفعل ذلك، وكانوا قد سألوا ذلك سابقاً (آتنا من
لذتك رحمةً).

- وهذه الرحمة كانت سبباً في انشراح صدورهم، وسلامة
أبدانهم، واختفاء أمرهم، واشتهار صلاحهم، ومنامهم
المنام الطويل، الذي تجلت فيه آياتُ الحفظ والصيانة
والرعاية، فلم يُنل منهم، أو يُستبح كهفهم ودارهم.
(وليتصرن الله من ينصره) سورة الحج .

- والمشروع للمؤمن ديمة التفاؤل، ونبذ التشاؤم والظنون
والتشككات، والسير على نور من ربه، واعتقاد عون الله على
كل حال. قال الإمام الماوردي رحمه الله: "الفأل فيه تقوية
للعزم، وباعث على الجد، ومعونة على الظفر، فقد تفاءل

رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته وحروبته ، والمراد بالتفاؤل انشراح قلب المؤمن، وإحسانه الظن، وتوقع الخير".

- وطابت لهم الأمور وارتفعت بهم.. (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا). ونتعلم هنا حفظ الله لعباده الصالحين وتفاؤلهم وثقتهم بالله وجزمهم.... وهذا الجزم من آثار الربط الايماني على قلوبهم ، بما علموا من قدرته على كل شيء، وحمايته من لاذبه ، وعبدته وتوكل عليه، ففعلوا ذلك، ففعل الله بهم ما رجوه فيه، فجعل لهم أحسن مرفق بأن أنامهم ثم أقامهم بعد مضي قرونٍ ومُرورِ دهورٍ، وجعلهم سبباً في هداية من بعدهم، والله الحمد والمنة .

١٤ / الآيات المسخرة :

(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُجُ عَنْ كَهْفِهِمْ)

- من رحمة الله تعالى بهم، أن جعل الكون بآياته مسخرًا لهم، وحافظًا لهم في كربتهم، فتأمل حركة الشمس حولهم، وازوارها عنهم لئلا تضرهم.. وهذا وضعٌ عجيبٌ يسره الله لهم بحكمته؛ ليكون داخل الكهف بحالة اعتدالٍ، فلا يتأبُّ البلى أجسادهم، وذلك من آيات قدرة الله والفجوة هنا :
المُتَّسِعُ مِنْ دَاخِلِ الْكَهْفِ، بِحَيْثُ لَمْ يَكُونُوا قَرِيبِينَ مِنْ فَمِ الْكَهْفِ، وَفِي تِلْكَ الْفَجْوَةِ عَوْنٌ عَلَى حِفْظِ هَذَا الْكَهْفِ كَمَا هُوَ .

• **قيل** : وهذا دليل على أن باب هذا الكهف من نحو الشمال؛

لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه

﴿ذات اليمين﴾ أي: يتقلص الفيء يمينه و ﴿تزاور﴾ أي:

تميل.. وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها

بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك

المكان؛ ولهذا قال: ﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾

أي: تدخل إلى غارهم من شمال بابيه، وهو من ناحية

المشرق، .. و ﴿تقرضهم﴾ تتركهم، وقد أخبر الله تعالى

بذلك وأراد منا فهمه وتدبره، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف

في أي البلاد من الأرض؛ إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي.

وَقَدْ تَكَلَّفَ بَعْضُهُمْ ، فذكروا فِيهِ أقوالاً مختلفة ، والمهم هنا العظة والاعتبار .

- وفي ذلك آياتٌ جليلةٌ للمولى الكريم ، دالة على قدرته ووحدانيته (ذلك من آيات الله) .. حيث سخر لهم الموضع والمكان والشمس المجاورة ، والهواء المناسب فحفظ أجسادهم ، وردَّ عدوهم ، وكلَّ خطرٍ يُرديهم ..! وهم في مأمنٍ من بطش الظلمة، وفي راحةٍ من حر الشمس وموضع المنام .

- والفضلُ أولاً وآخرًا هنا للباري عز وجل .. (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) أكرمهم بدينه، وهداهم لتوحيده معنًى ولذةً، وللكهفِ حساً ومنجاةً ، فهم موفقون مهديون ،

بخلاف غيرهم من المعرضين... (وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ

وَلِيًّا مَرْشِدًا) بل الولي المرشد كان من حظهم ونصيبتهم

.. (فالله خير حافظًا) . وفي هذا دليلٌ على حفظ المؤمنين

وهدايتهم ، وانتصارهم في أحلك الظروف ، فكن دائما على

يقينٍ واطمئنان ، الله الموفق .

١٥ / النوم المفزع :

(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْ قَاظًا وَهُمْ رُقُودًا)

• تخيل أن ترى نائما فاتحا عينيه، ... إنه منظرٌ مستغرب ،

ومخيف في غالب الأحيان ، وهو ما وقع لفتية الكهف

(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودًا) . وهذه من آيات الله فيهم ..

(ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) .. وتظنهم - أيها الناظر

إليهم - مستيقظين لانفتاح أعينهم، والواقع أنهم نيام

مستغرقون ، ونقلبهم في نومهم تارة يمينًا، وتارة شمالًا ، حتى

لا تأكل الأرض أجسامهم، وقلبهم المرافق لهم ، مادُّ ذراعيه

بمدخل الكهف، وقد تشرف بصحبتهم ، وقيل هو كلبُ

الراعي الذي مرّوا به فاستحب دينهم وتبعهم .

• ثم تأتيك الآية الأخرى الشديدة (**لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ**

مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا) وشاهدتهم لأدبرت عنهم

هاربًا خوفًا منهم، ولامتلأت نفسك رعبًا منهم، بما ألبسهم

الله من الهَيْبَةِ أَوْ لِعِظَمِ أَجْرَامِهِمْ ، وانْفِتَاحِ عِيُونِهِمْ، وَقِيلَ

لِوَحْشَةِ مَكَانِهِمْ .

• **والرعبُ من الأشكال المخيفة ، لا يطيقه كثير من الناس ،**

فكيف بمن جعلهم الله آيةً مرهبةً مفزعة، وحذر من الاقتراب

منهم...! وفي الحديث: **(نُصِرْتُ بِالرَّعبِ)**. ويروى عن

معاوية أنه غزا الروم ، فمر بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال

له ابن عباس: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك:

لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ، فبعث ناساً إليهم ، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحاً فأحرقتهم .

- وهذه كلها من آيات الله الدالة على قدرته ، وحفظه لهؤلاء الفتية ، وصونه لأجسادهم ، وتبليغهم الأجل المحتوم ، والله يحكم لا نعقب لحكمه ، والله الموفق .

١٦ / البعث المنتظر:

(وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ)

- أتموا مدتهم التي قدرها الله لهم وهي ثلاثة قرون وتسع سنين .. فبعثهم سبحانه وأفاقهم من نومهم، وقد تغير العالم واختلفت الأمم والدول ، وهم لا يشعرون .. (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ..) ، وكان هذا البعث على أشكالهم وهيئتهم، التي خرجوا ودخلوا بها على الصحيح ، فلم يهرموا ولم يتغيروا ، واللام هنا للعاقبة والضرورة ، فيكون المعنى بعثناهم فتساءلوا .

- ثم لما أفاقوا تذاكروا بَيْنَهُمْ: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ أي: كَمْ رَقَدْتُمْ ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ كَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ فِي

أَوَّلِ نَهَارٍ، وَاسْتَيْقَظُوهُمْ كَانَ فِي آخِرِ نَهَارٍ؛ وَلِهَذَا اسْتَدْرَكُوا

فَقَالُوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ أَي: اللَّهُ

أَعْلَمُ بِأَمْرِكُمْ، وَكَأَنَّهُ حَصَلَ لَهُمْ نَوْعٌ تَرَدَّدَ فِي كَثْرَةِ نَوْمِهِمْ،

فَاللَّهُ أَعْلَمُ، ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الْأَهَمِّ فِي أَمْرِهِمْ إِذْ ذَاكَ، وَهُوَ

اِحْتِيَاجُهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَقَالُوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ

بِوَرِقِكُمْ﴾ .

• وهذا من علامة إيمانهم حيث ردّوا العلم إلى الله ، فهو

علام الغيوب سبحانه وتعالى، وهو أدبٌ لنا جميعا بأننا إذا

سئنا عما لا نعلم ، وكلنا العلم إلى عالمه ومدبره . قال ابن

مسعود رضي الله عنه : " إِنْ مِنْ فَقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا

عِلْمَ لَهُ بِهِ : اللَّهُ أَعْلَمُ " .

• ولذلك لم تكن إفاقتهم وبعثهم لمجرد التساؤل ، ولكنه

كان لبيان قدرة الله المتناهية في الإماتة والإحياء ، وإثبات

البعث الأخروي ، وإلتزام نعمته عليهم بالنجاة وظهور

دينهم الحق.

• وفي الآية حسن حوارهم اللطيف، واتفاقهم برد العلم إلى

الله بدون مجادلة، والإعراض عن التفصيلات الظنية،

والاعتبار بمقاصد القصة الكبرى (قالوا ربكم أعلم بما

لبثتم) تعظيم لله، واستشعار الفرد بفقره وضعفه ، والله تعالى

أعلم .

١٨ / التقوى الممتحنة:

(فليَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ..)

• **التقوى لا تنفكُ تعلّم صاحبها، والصدقُ يلزمك في كل**

المواقف، فلقد حوربتَ وطوردت ، ومهما واجهت في

حياتك ، فإنّ المؤمن لا يأكلُ حرامًا ، ولا يطعم باطلاً..

ولذلك تقواهم كانت شاهدةً معهم ، حتى في المحنة

والكربة، وزمن الخوف والشدة .. (فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ

هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ..) وهو الرزقُ

والأكل ، فقد تحرك البطنُ، ونادت مشاعر الجوع ، ولكنهم

خرجوا لله ، ولن يأكلوا إلا ما أباحه الله لهم، وحملهم للمال

ذا على حسن توكلهم .. (أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) يعني بليس

بمحرم ولا مشبوه، ولا مسروقٍ ولا مغصوب..! بل هو
 حلالٌ طاهر ولو قلّ، وليس حسناً جميلاً ولو كثر..! وفي
 القصة جوازُ الوكالةِ وصحّتها؛ لأنّ قولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
 بِبُرْقِكُمْ﴾ الآية، يدلُّ على توكيلهم لهذا المبعوثٍ لشراءِ
 الطَّعامِ.

- وهذه التقوى والمراقبة، يحتاجها المسلم في كل مكان،
 وعند كل موقفٍ، وفي العمل، وأثناء السوق، حتى لا نأكلَ
 إلا طيباً، ولا نتعاطى إلا صالحاً (كلوا من طيبات ما
 رزقناكم) وفي الحديث الصحيح: (اتق الله حيثما كنت)
 زماناً ومكاناً وحالاً. ولم يترخصوا بحالة الضرورة، بل

راقبوا اللهَ حتى في المُدلهَمات ، لأنَّ اللهَ هو الرزاق ذو القوة
المتين .

• وهذا درسٌ في غاية الأهمية نتعلّمه من الفتيةِ الشباب،

ويؤسفنا أنك قد تجدُ بعضنا في حالة الرخاء، وهو يأكل
ويجمع ولا يبالي من أي الجهات حصل وادخر...

• ثم وعظوا صاحبهم المشتري الذاهب (فليأتكم برزق منه

وليتلطّف ، وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) . وجهوه إلى المدينة -

مما يدل على قربهم وإمكانية اندماجهم المدني، لو أسلم

قومهم - ويأتي بالرزق الطيب، وليكن ذهابه في كتمانٍ

وخفية، ولا يقف كثيرا، ولا يتحدث كثيرا، حتى لا

يُكتشفوا، أو يُعرفُ سرُّهم ...

• وفي التلطف حُسنُ التخفي والحيلة في المخالطة ، وأن

الأسواق أهون من غيرها لغلبة الناس فيها ، والله الموفق .

١٩ / الفقه الدعوي:

(إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ).

• كَانَ الْفَتِيَّةُ مَعَ صِغَرِهِمْ يَفْقَهُونَ قَضِيَّتَهُمُ الدَّعْوِيَّةَ وَمَطَالِبَهَا

وَنَهَائِئِهَا ، وَالْعَوَاقِبَ الَّتِي تَنْتَظِرُهُمْ فِيهَا .. ! وَلِذَلِكَ مَا أَقْدَمُوا

عَلَى خَطَوَاتِهِمْ فِيهَا إِلَّا وَهُمْ يَعْرِفُونَ مَا يَخْبَأُ لَهُمْ ، وَكَمَا لَأَذْوَا

بِرَبِّهِمْ وَسَأَلُوهُ رَحْمَتَهُ ، وَتَوَقَّوْا بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الْمَادِيَّةِ ، فَهَمَّ

يَعْرِفُونَ عَاقِبَةَ انْكَشَافِ أَمْرِهِمْ .. (يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي

مِلَّتِهِمْ).

• وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِمْ فِي الْخَطَوَاتِ ، وَامْتِلَاءِ قُلُوبِهِمْ

بِالْإِيمَانِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَأَنَّهُ لَنْ يَصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ، وَفِي

الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: (المؤمنُ

القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف).

• فكانوا وعاءً بعاقبة دينهم الجديد ، ولو انكشف أمرهم

فمصيرهم القتل أو تبديل الدين... (يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ

فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا). أي: إِنْ رَجَعْتُمْ فِي دِينِهِمْ لَمْ

تُسْعَدُوا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وسينتفي عنكم الفلاح ،

لأنكم بدّلتم دينكم ، وآثرتم الشرك ، والفساد على الصلاح ،

والشر على الخير .

• وفي ذلك دليلٌ على ضراوة أعداء الحق ، وأنهم لن يقبلوا

إلا بالارتداد أو الرجم والإبادة ، كما قال تعالى: (مَكْرُهُمْ

وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) سورة إبراهيم.

٢٠ حجة البعث والإعادة: (وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)

• جعل الله قيامهم ومبعثهم فيه حكمةً جليلة، ودليلاً على

العودة والبعث، ولذلك قال (**أعزنا**) أي **أطلعنا عليهم**

النَّاسَ ، وعرفناهم أمرهم.. ﴿ **لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ**

السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ ونُقل، أَنَّهُ كَانَ قَدْ حَصَلَ لِأَهْلِ ذَلِكَ

الزَّمانِ شَكٌّ فِي الْبُعْثِ ، وَفِي أَمْرِ الْقِيَامَةِ ، وَكَانَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

قالت : **تُبْعَثُ الْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ**، فَبَعَثَ اللَّهُ أَهْلَ

الْكَهْفِ حُجَّةً وَآيَةً عَلَى ذَلِكَ .

• والبعثُ حقٌّ واقع، وأمرٌ ثابت، ومنكره كافر، وهو مقدمة

لِلْحِسَابِ وَالْقِيَامَةِ ، وَقَدْ أَفَاضَ فِيهِ الْقُرْآنُ فِي نِصُوصٍ كَثِيرَةٍ..

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ

لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ، وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ) سورة التغابن . وفي

صحيح البخاري رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (قال الله: كذّبي ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني

ولم يكن له ذلك، فأما تكذّبه إِيَّاي فقلوه: لن يعيدني كما

بدأني، وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته. وأما شتمه

إِيَّاي فقلوه: اتّخذ الله ولداً، وأنا الأحدُ الصمد ، لم ألد ولم

أولد ولم يكن لي كفواً أحداً) .

● وسيكونُ وعدُ الله حقاً ولو كابرَ ابنُ آدم، وهو يشاهدُ كيف

يحيي الأرض بعد موتها بالغيث البهيج ، وقد نسي خلقه

الذي هو أشد وأعظم... وسيتلو ذلك الساعة والقيامة..

(وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا). والساعةُ غيبٌ ، علمها عند الله ،

حيث يتبدل العالمُ الأرضي ، ويدخل الناس في عالمٍ آخروي

لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ (إِلَى رَبِّكَ مِنْتَهَاهَا) وحينها يقربها

المنكرون ويتقالون مدة إقامتهم في الدنيا (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا

لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) سورة النازعات .

● وثمرة العلم بالبعث والساعة : حسنُ العمل والاستعداد،

ومراجعة النفس، وعدم الركون إلى الدنيا، واعتقادُ فنائها ،

والأهبةُ للجنة والخوف من النيران ، والله المستعان .

٢١ / جدلية الآية العظيمة:

(إِذِ يْتَنَازِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ).

• لم يزل النزاع في ظهورهم وما يصنع بهم ، وفي حكم

البعث، وعودة الأجساد ، فجعلهم تعالى آية على الإيمان

ونصرة عباده، وعلى البعث، وكان من النزاع أيضًا، كيف

يفعلون بهم وقد قضوا في الكهف، فقال أهل الإيمان :

(فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) فلا ندري كيف

قضوا مدتهم وكيف حصل ظهورهم وعاشوا فيه ، ووكلوا

العلم إلى الله، واقترحوا قبرهم في كهفهم بسد

الباب...و(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ

مَسْجِدًا) وهم أهل النفوذ والجاه، استحسنوا أن يتخذوا محل

دفنهم ، مسجدًا تعظيمًا لشأنهم ، وهذا محرّمٌ في شريعتنا .

• **ونتعلم من ذلك** : دوام الخلاف بين الناس ، لا سيما القضايا

العظيمة ، وأن الله على كل شيء قدير ، وحفظه لعباده ،

وثبوت البعث وقيام الساعة ، وأنّ الله علام الغيوب ، وحرمة

البناء على القبور ، أو اتخاذها مساجد ، قال عليه الصلاة

والسلام : **(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم**

مساجد).

• قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : **" لَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا "**

أي : نعبد الله تعالى فيه ، ونتذكر به أحوالهم ، وما جرى لهم ،

وهذه الحالة محظورة ، نهى عنها النبي ﷺ ، وذم فاعليها ، ولا

يدل ذكرها هنا على عدم ذمها، فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف والثناء عليهم، وأن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: ابنوا عليهم مسجداً، بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم، وحذرهم من الاطلاع عليهم، فوصلت الحال إلى ما ترى. وفي هذه القصة: دليل على أن من فرّ بدينه من الفتن، سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية، عافاه الله ومن أوى إلى الله، آواه الله، وجعله هدايةً لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ❀ وما عند الله خير للأبرار ❀ . والله تعالى أعلم.

٢٢ / الاختلاف العددي : (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ)

- من المسائل التي تكثر حول فتية الكهف قديماً وحديثاً ، عددهم ، ومع اشتهاها ، وعجب آياتها الأخرى ، يركز بعضهم على العدد ، ومع ذلك ناقشها القرآن ووجه الوجهة السيدة تجاهها .. (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) .
فيخبر سبحانه عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف ، فحكى اقوالا ، وضعفها بقوله : ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ .. !

• **أَيُّ: قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ، وَتَوْقَعًا بِالظَّنِّ، كَمَنْ يَرْمِي إِلَى مَكَانٍ لَا**

يَعْرِفُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُصِيبُ، وَإِنْ أَصَابَ فَبِلَا قَصْدٍ، ثُمَّ حَكَى

الثَّالِثَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَوْ قَرَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتَأْمِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فَدَلَّ

عَلَى صِحَّتِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ .

• **وهنا أدبٌ جميل ، ما أحوجنا إليه ، لا سيما طلاب العلم ،**

وقد تقدم ذكره، وأعيد لأهميته ، (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ)

.. إِرْشَادٌ إِلَى أَنَّ الْأَحْسَنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ رَدُّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ

تَعَالَى، لا سيما عند اندراس الأدلة ، وكثرة الظنون ، فلا

نخوض إلا بعلم، ولا نشارك إلا بفهم ، كما وجه سبحانه

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) .سورة الإسراء.

• ومن تفكّر في هذه المسائل وأشباهاها ، أدرك أنه لا يفقهها

إلا القلة من الناس.. قال تعالى : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي :

مِنَ النَّاسِ . وعن حبرِ الأمة ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : " أَنَا مِنَ

الْقَلِيلِ الَّذِي اسْتَشْنَى اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، كَانُوا سَبْعَةً " ، وعن عَطَاءِ

الْخُرَّاسَانِيِّ رحمه الله أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ " : أَنَا مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهَ ،

وَيَقُولُ : عَدَّتْهُمْ سَبْعَةٌ " .

• وهذه المسألة ليست جوهر القضية ولا عبرتها الكبرى ،

ولذلك قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ أي :

سَهْلًا هَيِّنًا كما قصصنا عليك ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَا

يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ .. ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾

أي : أهل الكتاب ، فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا مِنْ تِلْقَاءِ

أَنْفُسِهِمْ ، رَجْمًا بِالْغَيْبِ ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدٌ بِالْحَقِّ الَّذِي
 لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرْيَةَ ، فَهُوَ الْمُقَدَّمُ الْحَاكِمُ عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَهُ
 مِنْ الْكُتُبِ وَالْأَقْوَالِ .

- وفيها كراهية القول بالظنون ، وعدم الأخذ من زاعمي العلوم ، وأن الخطاب القرآني كافٍ في كل القضايا والشؤون ، التي قد يخاض فيها بلا علم ولا دراية ، والله الموفق .

٢٣ / المرآء العلمي:

(فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِنَّا مِرَاءَ ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ)

• كم من مرآءات في العلوم والكتب وجدالات، لا تستضيء

بالهدي الشرعي، ولذلك علمنا القرآن الطريق في ذلك.. قال

تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرًا﴾: لا تُمارِ أَحَدًا،

حَسْبُكَ مَا قَصَصْتُ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِهِمْ، ويكون بِحُجَّةٍ

واضحة، وقيل: مَعْنَى الْآيَةِ: لَا تُجَادِلْ إِلَّا جِدَالَ مُتَيَقِّنٍ عَالِمٍ

بِحَقِيقَةِ الْخَبَرِ؛ إِذِ اللَّهُ تَعَالَى أَلْقَى إِلَيْكَ مَا لَا يَشُوبُهُ بَاطِلٌ.

• وهنا تنبيهان مهمان في المنهجية العلمية: جدال ظاهر^{٢٦}

متيقن، ومرجعية سليمة في العلم والفتوى.. (ولا تستفت

فيهم منهم أحدًا). فمن بنى علمه على الظن والتخمين، ليس

أهلاً بسؤاله والاستفادة منه، وليس كل من ادعى العلم بات
 عليماً... فقل لمن يدعي في العلم فلسفة.. حَفِظْتَ شَيْئًا
 وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ..

• وثمة أدبٌ آخر في ترتيب الأمور والعزم عليها ، وهو تعليق

مشيئتها بالله تعالى .. (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ

غَدًا) ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ نَهْيُ تَأْدِيبٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ -

ولكل أمتة -، حِينَ قَالَتِ الْيَهُودُ لِقُرَيْشٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ

وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَذِي الْقُرْنَيْنِ، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: «أَتُؤْنِنِي غَدًا

أُخْبِرْكُمْ» وَلَمْ يَسْتَنْ فَابْطَأَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا،

حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ وَكَذَبَتْهُ قُرَيْشٌ. وَالِاسْتِثْنَاءُ مِنَ النَّهْيِ أَيُّ وَلَا

تُقُولَنَّ لِأَجْلِ شَيْءٍ تَعَزَّمُ عَلَيْهِ إِنِّي فَاعِلُهُ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ إِلَّا بِ-

﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أَيِ إِلَّا مُلْتَبِسًا بِمَشِيئَتِهِ قَائِلًا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ،

﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ﴾ مَشِيئَةَ رَبِّكَ وَقُلْ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ. كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ

لَمَّا نَزَلَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ شَاءَ اللَّهُ». ولزهير في

معلقته المشهورة: وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ .. وَلَكِنِّي

عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِي ..! وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ وَالْهَادِي إِلَى سِوَاءِ

السبيل .

٢٤ / الذكر الحضورى: (وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ..)

- يُسْتَحَبُّ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، كما هو الهدي النبوي تعظيماً وإجلالاً، (فاذكروني أذكركم) . وكذلك عند الشروع في الأمور ، أو العزيمة على فعلها والتخطيط لها، فتكون متصلة بما قبلها ، (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) . أي قول: إن شاء الله . وإما مشروعية ذكر الله عند النسيان ؛ لِأَنَّ النَّسْيَانَ مُرَدَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ فَتَى مُوسَى : ﴿ وَمَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ .
- والسنة في الأمور المستقبلية أو ما خالطتها ونسيت الاستثناء، أن تقول مباشرة في المجلس (إن شاء الله) ، ولا يصح تأخير الاستثناء، لا إلى يوم ولا سنة..! ويروى عن الحبر ابن عباس أنه أجاز التأخير فيه، ولا يمكن تمريره إلا بتوجيهه على وجهه

حسن ، ف قيل : مراده قالها بقلبه، ولم يقلها بلسانه نسياناً ،
 فيتبعها متى ذكر...! وقيل : المراد بقولها متأخرا ، الخُرُوجُ
 مِنْ عَهْدَةٍ تَرَكَهُ الْمُوجِبُ لِلْعِتَابِ السَّابِقِ ، لا أَنَّهُ يُحِلُّ الْيَمِينَ ،
 لِأَنَّ تَدَارِكَهَا قَدْ فَاتَ بِالْانْفِصَالِ ، إِذْ لا يَصِحُّ الْقَوْلُ بِهِ عِلْمِيًّا ،
 لما فيه من المفساد الشرعية والله تعالى أعلم.

- **وثمره هذه الجملة :** دوام ذكره سبحانه وتعالى ، وتعليقُ
 الأمور به على كل الأحوال ، وقد قال عليه الصلاة والسلام:
 (سبق المفردون.. الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) . وأن
 في ذكر الله استثناءً أو تعظيماً ، كلَّ فضل وبركة ، ولا يزال
 الذاكر في نور من ربه، وتوفيق من دهره، وسعادةً من أمره،
 والله ولي الصالحين الذاكرين . **والله تعالى أعلم.**

٢٥ / فضل الرشد مرة أخرى:

(وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا)

• قيل لما رأى من العجب والعظمة، أمره الله أن يسأله ما هو

قريب وأعظم من ذلك ، وَمَعْنَاهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُؤْتِينِي مِنَ الْبَيِّنَاتِ

وَالْحُجَجِ عَلَى أَنِّي نَبِيٌّ صَادِقٌ مَا هُوَ أَعْظَمُ فِي الدَّلَالَةِ وَأَقْرَبُ

رَشَدًا مِنْ خَبَرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ سُبْحَانَهُ،

حَيْثُ آتَاهُ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِخْبَارِ بِالْغُيُوبِ مَا هُوَ أَعْظَمُ

مِنْ ذَلِكَ وَأَدْلُّ . وَقِيلَ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِ الْاسْتِثْنَاءِ

، أَيِ اذْكُرْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَقُلْ فِي نَفْسِكَ: عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي

لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا، أَيِ ادْعُ اللَّهَ بِهَذَا .

● وفيه فضلُ سؤال الهداية ، وأن مصدرها إلى الله تعالى ، ونحن

نقول في الصلوات على الدوام : (اهدنا الصراط المستقيم)

وما ذلك إلا لعظمتها وأن المهتدين هم المفلحون . ومن

حُرْم الهداية فقد حُرْم الخير كله .

● وفيها فضلُ الرشد ، وهو ضربٌ من الهداية ، وتحققه يعني

السلامة من الآفات والضلالة .

● وفضلُ شريعة الإسلام ، وأن فيها من أبواب الرشد، ونوافذ

الخير ما يرسخ الإيمان، ويثبتُ على الطريق ، ويحفظُ القلب

من التعثر ، من البينات الواضحات ، والقصص الغيبية ،

والأحاديث الروحانية، والمعجزات الباهرة. والله الموفق .

٢٦ / البتّ الحقيقي:

(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)

- هذا جوابُ سؤالٍ من الأسئلة المحيِّرة في هذه القصة ، وأخذت من الناس مأخذها ، لعظمة الاختفاء الواقع ، وخروجهم في زمان مختلفٍ، ديناً وشكلاً ومنهجاً ، فكانوا محلَّ الاستغراب والاندعاش ، فأجابَ الله تعالى بالجوابِ الفصل، والكلام الجزم .. (ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ..) وهو خبرٌ من الله تعالى لِرَسُولِهِ ﷺ بِمِقْدَارِ مَا لَبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ، مُنْذُ أَرْقَدَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَنْ بَعَثَهُمْ وَأَعَثَّرَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَنَّهُ كَانَ مِقْدَارُهُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ وَتِسْعَ سِنِينَ بِالْهَلَالِيَّةِ، وَهِيَ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ بِالشَّمْسِيَّةِ، فَإِنَّ

تَفَاوَتْ مَا بَيْنَ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ بِالْقَمَرِيَّةِ إِلَى الشَّمْسِيَّةِ ثَلَاثُ

سِنِينَ؛ فَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ: ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ .

● **والمدة فيها من الطول والغرابة، ما لا يحتمله العقل البشري**

، لولا خبر القرآن ، وليس أهل الكتاب ، فوجب الإيمانُ

والتسليم ، وفي ذلك بيانٌ لقدرة الله ، وحفظه لأوليائه ، وعظم

تدبيره الكونِ ، وادخاره رحماته لمن شاء من عباده، ورفعته

للصادقين المتوكلين عليه ، وصرفه الأخطارَ عنهم كما

تقدم.

● **ثم تأكيد على أدب آخر في القصة وقد تقدم، وهو إسنادُ**

العلم إلى الله تعالى .. وَقَوْلُهُ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أَي:

إِذَا سُئِلَتْ عَنْ لَبِثِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ فِي ذَلِكَ وَتَوْقِيفٌ مِنْ

الله، عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَا تَتَقَدَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ ، بَلْ قُلْ فِي مِثْلِ هَذَا: ﴿اللهُ
 أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: لَا يَعْلَمُ
 ذَلِكَ إِلَّا هُوَ ، أَوْ مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وتكراره لسعة
 الكونِ وعلومه وغيبياته ، وضعف ابن آدم وقصوره عن
 الإحاطة بكل شيء .

- ونستفيد هنا رد العلم إلى أهله، وعدم الاستعجال في
 الإجابة، وأن الغيب كله إلى الله كما قال: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ
 فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
 يُبْعَثُونَ) سورة النمل . والله أعلم.

٢٧ / سعة العلم الإلهي:

(أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ)

• فيه بيان سعة علم الواحد الأحد تبارك وتعالى .. (أَبْصِرْ

به وأسمع ..) أي هو بصيرٌ وسميعٌ لهم ، وهو مبالغةٌ في

المدح، كأنه قيل: مَا أَبْصَرَهُ وَأَسْمَعَهُ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: مَا

أَبْصَرَ اللَّهُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَأَسْمَعَهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ

مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا).

• وَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: " مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ

مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُضْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ " .

وقالت عايشة رضي الله عنها " الحمدُ لله الذي وسعَ سمعُه
الأصواتَ " .

- ومن كان علمُه بهذه السعة، كان مستحقًا للعبادة والتعظيم ،
ولذلك قال بعدها؛ (مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) أَي لَمْ يَكُنْ
لِأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَلِيٌّ يَتَوَلَّى حِفْظَهُمْ دُونَ اللَّهِ وَقَدْ طَالَعُوا
آيَاتِهِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ فِي " لَهُمْ " عَلَى مَعَاصِرِي
مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْكُفَّارِ . وَالْمَعْنَى : مَا لَهُؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي
مُدَّةِ لُبِّهِمْ وَلِيٌّ دُونَ اللَّهِ يَتَوَلَّى تَدْبِيرَ أَمْرِهِمْ ، فَكَيْفَ يَكُونُونَ
أَعْلَمَ مِنْهُ ، أَوْ كَيْفَ يَتَعَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامِهِ إِيَّاهُمْ .

- وله سبحانه الحكمُ المطلق ، والقدرةُ المطلقة ، والحجة
البالغة ، والتصرف الكامل في ملكوته وخلقه في هذا الكون ،

كما قال تعالى : ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ تعظيم له سبحانه وتعالى ، وهذا يشمل الحكم الكوني القدري ، والحكم الشرعي الديني ، فإنه الحاكم في خلقه ، قضاءً وقدرًا ، وخلقًا وتدبيرًا ، والحاكم فيهم ، بأمره ونهيه ، وثوابه وعقابه ، لا ينازعه مخلوق ، ولا يشاركه معظم ، تعالى جدُّه وتبارك اسمه . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

٢٨ / فضل الصحبة الصالحة:

(الفتية) (اعتزلتموهم) (فاووا): كلها معان للاجتماع والتعاون

- أن الأصدقاء لهم فضلٌ على صاحبهم إذا أُحْسِنَ اختيارُهم ، ووفقَ المرءُ لذوي الدين والصلاح، كما قال في الحديث : (المرءُ على دين خليله) . وفائدة كونهم جماعة أو رهطاً من الناس ، تثبيت بعضهم بعضاً ، والتشجيع على الخيرات ، واستنارة عقولهم بالشورى والمذاكرة ، وتنبية بعضهم ، وقد ظهر ثمار ذلك في حسنِ تشاورهم بالذهاب إلى الكهف ، ودعائهم المجتمع (ربنا آتنا من لدنك رحمة) والحذر من الطعام المحرم ، ومكر قومهم بهم حين الاطلاع عليهم ، أو كشف السر ..!

- ومهما عظمَ فساد الحياة ، وقلَّت مروءتها لن يُعَدَمَ المؤمن أخاً كريماً، وصديقاً فاضلاً ، يعينه على طاعة الله ، فيخلصان

لبعض محبةً وتوقيراً ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**ورجلان**

تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه). فكان عمدة

صداقتهم محبة الله، وليس الدنيا أو المصلحة والحاجة .

• وقد سبق ترجيح كونهم **سبعةً وثامنهم كلبهم**، وهو عدد

مكتمل الفكر والقوة والمعاونة ، وقد صح حديث : (**خَيْرُ**

الْأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ) عند أحمد والدارمي بإسناد حسن . وعند

الترمذي ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**خَيْرُ**

الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ ، خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ). وخيريته بصدق

الصحبة ، وحسن المؤازرة ، والنصيحة الطيبة ، والموقف

الجاد، والمواساة السريعة . وليس العبرة بكثرتهم ، ولكن

بجودتهم ولو قلّوا، لأنّ النفيس قليل، **والسلام** .

٢٩ / حسن التصرف: (فآووا الى الكهف) (فآبعثوا آحدكم)

• وشبهها مما يدلُّ على حسنِ تصرفهم ونباهة عقولهم،

وحسن إدارتهم للأزمة القائمة ، فمثلا لم يستطيعوا المواجهة

بعد أن انذرهم الملك ، وقرروا اللياذ بالكهف ، ولم ينزلوا

السوق كلهم ، وبعثوا رجلاً واحداً ، وحذروه التساهل

والإفشاء .

• وهذا من توفيق الله لهم، والرحمة المسبغة عليهم، والرشد

المقذوف في مسارهم ، بحيث يبينُ صحةً عقلهم ، وطيبُ

تصرفهم .

• **وحسنُ التصرفِ، عقلٌ موفورٌ، وفطنةٌ ظاهرة، وفقه**

مرحلي، يهبها الإيمان وصدق التوكل ، ودقة التأمل

والتشاور ، ولذلك نبهنا سابقاً على حسن الدعاءِ بسؤالهم

الرحمة والرشد ، وحديث (اللهم اهدني وسددي) وحديث

: (اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي) .

• وقال عليه الصلاة والسلام : (إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله :

الحلم والأناة) والحلم هو العقل ، ويقظته تقتضي الوعي

وحسن استعماله ، وتفصيل وظائفه في طاعةِ الله تعالى ، وفي

القرآن : (لهم قلوب لا يفقهون بها) والفقهاء بها إيمان مغروز،

ونظر مطلوب ، وتدبر مشهود .

• والمسيرةُ الدعويةُ عبر التاريخ تفتقرُ للعقول الناصحة ،

والتفكيرات الصالحة، التي تُحسن إدارةَ همومها

ومشكلاتها. ومن نعمةِ الله هذا العقل وما فيها من عجائب

خلقِ الله، الذي يستوجب منا التحرك العقلي المثمر لبلداننا

وأمتنا . واللهُ الموفق .

٣٠ / نصرۃ الفئۃ المستضعفة :

(وكذلك بعثناهم) (اعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق) . (وزدناهم هدى)

● فكُلُّها نصوصٌ تمجيدية ، بأن خلد ذكرهم ، ورفع شأنهم ،

وجعلهم عبرةً في العالمين ، وأن النصرَ ليس بالمواجهة

المباشرة ، فقد أدوها نصحاً وتذكّاراً ، ثم فروا إلى الكهف

داعين ومستغيثين ، فنصرَ الله دينهم ومبدأهم ، وحفظ شأنهم

وحسن عاقبتهم ، وجعل قومهم في سفال .

● ولا يلزم في الانتصار هزيمةُ العدو مباشرةً ، فقد يتأخر

النصر ، وتظهر آياتٌ أعظمٌ وأجل ، وأن في قلتهم سلوةً لأهل

الإيمان بعدهم ، بأن يتعظوا ويمثلوا ، فربّ فئۃ قليلة غلبت

فئۃ كثيرة بإذن الله . ويكفيها في انتصارهم ظهورهم المعنوي

والحسي ، في كونهم فتيةً مؤمنين ، ولم تعرف أسماؤهم ولا اسم كلبهم ، ولا موضعهم الحقيقي ، لأن هذا لا فائدة منه ، وفي القصة مقاصد وأهداف هي أولى بالفهم والعناية .

• **وسنيةٌ تكرارها كل جمعة ، قراءةً وتعبداً ، يرسخ مبادئ**

النصر هذه ، بل إنَّ تلاوة أوائلها أو أواخرها عصمة من الدجال ، وهو فتنة كبرى ، يزيدا شرفا ومكانة ، وأنها سورة العصمة والتحدي في الفتن العظمى والأشراط الكبرى ...

• **وفي نومهم الطويل ووضع المهابة عليهم ، وفرار من يدنو**

منهم انتصارٌ آخر ، وهم نائمون وبلا حراسةٍ ظاهرة ، وإذلال لقومهم وإهانة ، حيث تعاقبت الأجيال الكافرة تنفر من الكهف والجبل ، وتعتقد أنه موحش مرعب ، ويعتقد آخرون

أنهم على حق ، ويرقبون تفجره بالعجائب والحقائق ، وذلك
من آيات الله العظيمة، حتى حان موعدُ الإظهار الكبير،

والفتح الجليل .

٣١ / الاقتران التربوي :

(ربنا رب السموات والأرض)

• دائماً ما يقترن ذكر السموات والأرض في آيات القرآن،

ويمدح الباري نفسه بخلقهما، ووقع هذا على لسان الفتية

(فقالوا ربنا رب السموات والأرض) ... فاستدلوا بتوحيده

بعد الخلق العظيم العجيب .. ولا ارتياب أن في ذلك

تربويات عقدية وإيمانية ، جديرة بالتأمل والوعي ، ومن ذلك

: ظهورهما في حياة العبد ، وارتباطهما بأسباب عيشه

وهدايته، فالسماوات والأرض تمثل المكان الذي يعيش فيه

الإنسان الضعيف، يولد فيه، ويدفن في باطنه، ويقف على

خيراته، ويضرب في سبله وفجاجة، وهو في المقابل يرتبط

بهما ارتباطا وثيقا لما تمثله هاتان الجهتان المتقابلتان من

أساسه ومصيره ومقادير رزقه، ولما فيهما من عظمةٍ وجمال
وإبداع ..

● **فالأرض فيها عيشه وسكنه، وطعامه، وشرابه، بل وأصل**

خلقته، وماله تحتها في قبورها وتحت ثراها، والسماء فيها

هواؤه، وتقدير رزقه، وصحائف عمله، ومنتهى أمله، وفوق

ذلك كله دينه وشريعته وتوحيده، وكتابه المنزل من عند الله،

من فوق سبع سماوات، وهم مدعوون إلى تأمل ذلك **(قل**

انظروا ماذا في السموات والأرض وما تُغني الآيات والنذر

عن قومٍ لا يؤمنون) سورة يونس .

● **ومن طرائق القرآن في أسلوبه الدعوي، التوجه إلى**

المخاطبين بما يشاهدون ويبصرون من آيات الخلق والكون،

كي تقوم الحجة بوضوح وظهور، بعيدا عن أي تعمية، غير
 مفهومة أو مدروكة ، ولذلك يكرر هذه الجملة كثيرا ليربط
 المؤمن بعالمه، ويذكره بخالقه ، وعظمة ما أبدع وصنع،
 صنع الله الذي أتقن كل شيء (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ
 بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا
 وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) .

- وكان العباد مكنفون بهذين الآيتين ، فيهما خلقهم ورزقهم ،
 ودينهم وتوحيدهم ، وهي المحل الذي يحملهم على النظر
 والاعتبار ، ووعي أسرار الخلق والوجود ، والمبدأ
 والمنتهى ، والله تعالى أعلم.

٣٢ / الفتنه في الدين:

(يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم)

• سورة الكهف مكيه، ونزلت في أوقات عصيبة، تعيشها الفئة

المؤمنة، القليلة المستضعفة، ففيها تخليدٌ لصبرهم

وفضلهم، وتسليهٌ لهم بما واجه المؤمنون السابقون قبلهم،

وأن القلائل قد يغلبون الكثرة بثباتهم وصدق مبادئهم، وأن

أهل الإيمان ممتحنون عبر التاريخ والأزمان.. (وَلَقَدْ فَتَنَّا

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ

الكَاذِبِينَ) سورة العنكبوت .

• ومثل هذه الأحاديث محل اهتمام المسلمين الجدد، لا

سيما وقد لقوا شدة في حياتهم ودينهم، وضيقت عليهم مكة

وأهلها، وحاربتهم في دينهم..! فتأتي مثل هذه القصص

لتذكّرهم وتصبرهم.. (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما

نشئتُ به فؤادك) سورة هود .

● وقد احتوت السورةُ عموماً أربع قصص: الأولى : في فتنة

الدين وهي فتية الكهف، والثانية : قصة الرجلين في فتنة

المال، والثالثة: قصة موسى والخضر في فتنة العلم، والرابعة:

قصة ذي القرنين في فتنة الملك والسلطان ..! فالأولى

استفردت بذكر الإيمان وابتلاء أهله ، وكيف رعاهم الله

وحفظهم ، وخلّد ذكرهم، وجعلهم من الأنبياء الجليله في

السمع الإنساني... فتية فارون بدينهم، ومنام شديد، وكهف

خالد مرعب، وأجسام بُعثت بعد ثلاثة قرون...

- وقد كان صلى الله عليه وسلم يكشف لهم ذلك بهديه وتوجيهه ويقول لهم.. (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه..) ويقول : (أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) . وكانت السور المكية توضح ذلك كثيرا ، وتجعل من القصص القرآني الجميل محل تأكيد قضايا التوحيد ، وسنة الابتلاء ، والرد على المشركين المعاندين ، والوعد بظهور المتقين الصابرين . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

٣٣ / حلاوة الإيمان:

(ينشر لكم من ريكم ..)

• إيمانهم الجميل الذي خالط قلوبهم ، حملهم على إثارة

الفقر على الغنى ، والبلاء على الرخاء ، وترك ما هم فيه من

المجد والبهجة ، لا سيما وقد كانوا من أبناء السادة

والأشراف... وهنالك مجد وعظمة وزينة، ولكن حلاوة

الإيمان التي رسخت في القلب ، جعلتهم محبين لخالقهم،

مبتغين توحيده، كارهين للشرك وأتباعه.. (لن ندعو من دونه

إلها قد قلنا إذا شططا). وزادوا على ذلك نبرة التحدي ،

وطلب المنازلة الفكرية ، فهل لديهم من دليل واضح، أو

حجة دامغة..

• وللإيمان حلاوةً إذا خالطت القلوب احتملت في سبيل الله

الملاقي ، وقدمت التضحيات ، واستطابت ما آلت إليه من

تعبٍ ومعاناة ، وعلمت أنّ ما عند الله خيرٌ للذين آمنوا وعلى

ربهم يتوكلون . كما حصل لسحرة فرعون وقد عاينوا دلائل

الإيمان ، التي دحضت سحرهم وكذبهم .. (قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ

عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ

إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) سورة طه .

• ولذلك نعتقد أنّ أهل الكهف قد حصل لهم كغيرهم من

المبتلين ، واستطعموا حلاوة الإيمان ، التي قوّت نهجهم ،

وثبتت قلوبهم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في

العبودية : " فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما

يمنعه من عبوديته لغيره، إذ ليس في القلب السليم أحلى ولا
 أطيب ولا ألد، ولا أسر ولا أنعم من حلاوة
 الإيمان، المتضمن عبوديته لله ومحبه له وإخلاص الدين
 له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب
 منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً".

● وقد تعرض ابن تيمية وغيره من العلماء لصور من البلاء،

فثبته الله وشرح صدره، وهنا يحكي تلميذه ابن القيم شيئاً
 ثمن ذلك فقال في الوابل الصيب: "وعلم الله ما رأيت أحداً
 أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف
 الرفاهية والتنعم،.... ومع ذلك فهو من أطيب الناس عيشاً
 وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نظرة

النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا
الظنون؛ فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله،
وينقلب انشراحًا وقوة وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده
جنته قبل لقائه، فاتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ
قواهم لطلبها والمساابقة إليها. **نسأل الله من فضله ، والله
الموفق .**

٣٤ / الشططُ والأقوالُ المذمومة:

(لقد قلنا إذا شططاً)

- كانت عقولُهم السليمة وفطرُهم النقية ، سبباً في إسلامهم وتوجههم إلى خالق السموات والأرض ، فالأصنامُ ولو تزينت ليست مقنعة ، والتمائيل ولو تفخمت ، ليست بجذابة ديناً ونهجاً وصحةً... فالعقل طريق إلى الله، والكون بجماله وعجائبه من ركائز التوحيد لمن تفكر وتأمل..
- ولم يستطع قومُهم الوثنيون تقديمَ دليلٍ ساطع ، أو حجة قاطعة ، تقضي بصحة آلهتهم وطيبها وبركتها، بل على خلاف ذلك، فالمحسوس منها أنها لا قيمة لها، ولا ضرر منها ولا نفع ، فلمَ عبادتها وتقديسها ، ومنحها تلك القرابين

الفاخرة .. ولا يملكون جوابًا ، إلا تراث الآباء والأجداد ،
والتقديس المتوارث ، دون عقلٍ وفهم وروية ..! فصُودرت
عقولهم ، وطُمت فطرهم .

● **فجاء هؤلاء الفتيةُ بحركة لإيقاظ العقول ، وتوجيهها**
للمسلك الأرشد ، وقد هداهم الله إلى التفكير فيه ، ورفض
تلك الصنمية الزائفة ، التي لا يقوم لها دليل صحيح ، ولا
عقل مليح ..

● **والعقلُ تكريم الله لبني آدم ، وفيه منائر السلوك ، وآلات**
الاهتداء ، والتمييز بين الحق والباطل ... والقرآن الكريم لا
يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتبجيل ، والتنبيه إلى
وجوب العمل به والرجوع إليه ، وإشارته إلى موضع من

مواضع استعماله مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يُلام فيها على إهمال عقله .

● **والعقلُ بحكم روعته ومنافعه، لا يستغني عن الوحي**

والموروث الشرعي ويتناغم معه ، ولا يمكن ان يبلغ المعرفة الكاملة ، او يصل الى السعادة الكبرى ، ولذلك هو في حاجة ماسة إلى أنوار الوحي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ " هذا طريق النجاة من العذاب الأليم والسعادة في دار النعيم، والطريق إلى ذلك الرواية والنقل، إذ لا يكفي من ذلك مجرد العقل، بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور

نورٍ قدامه، فكذاك نورُ العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه
شمس الرسالة " .

● **لكنَّ العقلَ ابتداءً** ، لديه آلاتُ الفهم والتركيز على الحق ،
وطلب النجاة والسعد من خلاله، وإلا لن يغني عنه ذكاؤه ولا
نباهته، لأنه سيُحرّمُ الزكاة والنقاء .

● **وفي الحياة أفكارٌ وأديانٌ ونظريات** ، لا يقبلها العقل الصريح
، فضلاً عن الدين الصحيح المنقول عن الباري تعالى، لأن
الله رفعنا بهذا العقل لندرك الأنوارَ من الظلمات، وما أحسنَ
قول القائل : **وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ
الأنوارُ وَالظُّلْمُ... والله الموفق .**

٣٥ / تسهيل الصعاب:

(ويهيئ لكم من أمركم مرفقا)

● **نفسيات متفائلةٌ بعون الله وتيسيره ، وهذه محتاج إليها إبان**

الفتن والكروب .. ولذلك مضت متفائلةً برحمة خالقها ،

وتيسير الأمور ، وأنها ستنقلبُ خيرا ورفقا وانتفاعاً .. ولما

حسُن ظنُّها بربها دعتُه وهي مقبلة منشرحةً، بتحقيق مأمولها ،

ونيل مقصودها .

● **"ومرفقا " قرئ بالكسر والفتح .. وَهُوَ مَا يَرْتَفِقُ بِهِ**

الإنسانُ. ، وقيل مأخوذ من الارتفاق وهو الانتفاع وقيل : مَا

يَعُودُ إِلَيْهِ يُسْرِكُمْ وَرَفُقَكُمْ ، أَوْ وَيُهَيِّئُ لَكُمْ بَدَلًا مِنْ أَمْرِكُمْ

الصَّعْبَ مَرْفَقًا، وقيل: يَسْهَلُ عَلَيْكُمْ مَا تَخَافُونَ مِنَ الْمَلِكِ

وظلمه، ويأتكم باليسر والرِّفقِ واللُّطفِ. وقيل السعة
 والمعاش، وقيل: يَرْفُقُ بِنَفْسِكُمْ فَيُعْطِيهَا مِنْ لَذَاتِ عِبَادَتِهِ
 مَا يُنْسِيهَا سَائِرَ اللذاتِ، عَلَى أَنَّهَا لَذَاتُهَا لَمْ تَحُلْ مِنْ أذْيَةٍ،
 وَهَذِهِ خَالِيَةٌ عَنِ الْأذْيَاتِ كُلِّهَا.

• **وَجَزَمُهُمْ بِذَلِكَ لِنُصُوعِ يَقِينِهِمْ وَقُوَّةِ وَثُوقِهِمْ بِفَضْلِ اللَّهِ**

تَعَالَى، وَتَهَيُّتُهُ مُسْتَعَارَةً لِلْإِكْرَامِ بِهِ وَالْعِنَايَةِ، تَشْبِيهَا بِتَهَيُّتِهِ
 الْقَرِي لِلضَّيْفِ الْمُعْتَنَى بِهِ، وَقِيلَ: غِذَاءٌ... وَكُلُّهَا تَدُورُ حَوْلَ
 مَعْنَى التَّيْسِيرِ وَالْإِعَانَةِ وَالْإِرْفَاقِ بِهِمْ.

• **وَهَكَذَا دَائِمًا ظَنُّ الْمُؤْمِنِ بِرَبِّهِ خَيْرًا وَرَجَاءً، قَالَ عَلَيْهِ**

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ

بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ). قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى:

أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه ، قالوا : وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا ، ويكونان سواء ، وقيل : يكون الخوف أرجح ، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه ؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح ، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال ، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال ، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى ، والإذعان له .

• وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: " فالمشروع للمؤمن

والواجب عليه حسنُ ظنه بالله، وأن يرجو رحمته ومغفرته، وأن يخشى عذابه، وأن يجتهد في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ لأنه كلما اجتهد في الطاعة صار أقرب إلى حسن الظن،

وكلما ساءت أعماله صار هذا من أسباب سوء ظنه، كما قال

الشاعر: إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه .. "

• **ونتعلمُ هنا حسنَ الظن بالله، وروعةَ التفاؤل، والدعاء**

المستديم، والانشراح باليسر وحصول الرفق، وتعليق

القلوب دائماً بالكريم المنان.. **(ما يفتح الله للناس من رحمة**

فلا ممسك لها). واللهُ تعالى أعلم.

٣٦ الفلاح الممتع:

(ولن تفلحوا إذا أبدأ) .

- إنما الفلاح لأهل الإيمان، الذين تفرغوا في حب خالقهم والإخلاص له .. (قد أفلح المؤمنون) ويحرمه من بدل دينه، أو خالف منهجه، وأشرك بخالقه ... كما قال لهم في : (أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدأ) .

- والفلاح الحقيقي الممتع في اتباع الرسل ، وقفوا منهمجهم ، والعمل بمقتضاه ، والتباعد عن الشراكيات والبدع، ومثل هؤلاء هم السعداء، ويرجى لهم حسن العاقبة ، ما ثبتوا واستعصموا بخالقهم، ولم يبدلوا أو يتزحزحوا قال العلامة ابن القيم رحمه الله : " وهاتان الكلمتان -الثبات

والعزيمة - هما: جماع الفلاح، وما أُتي العبد إلا من
 تضييعهما، أو تضييع أحدهما، فما أُتي أحد إلا من باب
 العجلة والطيش، واستفزاز البداءات له، أو من باب التهاون
 والتماوت، وتضييع الفرصة بعد مواتاتها، فإذا حصل الثبات
 أولاً، والعزيمة ثانياً، أفلح كل الفلاح، والله ولي التوفيق".

● وفي الفلاح معاني السرور والنجاة واللذة، وحسن الحال في

انقلاب الأحوال، لأن الله يقول: (ما أنزلنا عليك القرآن

لتشقى) سورة طه . وقال سبحانه: (ومن يعيش عن ذكر

الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) سورة الزخرف . وفي

الصحيح: (قد أفلح من أسلم و رزق كفافاً ، وقنعهُ اللهُ بما

آتاه).

• وفلاحنا نحن أهل الإسلام في ديننا، بتوحيد خالص،

وصلوات ثابتة، وذكر دائم، وإحسان متواصل، وكلام طيب

معروف، والمسارة في الخيرات.. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُقْلِحُونَ) سورة آل عمران. قال الحسن البصري، رحمه

الله: "أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم،

وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا

لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين

يكتمون دينهم".

• وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والشدات.

وقيل: انتظار الصلاة بعد الصلاة، قَالَ بَعْضُ أَرْبَابِ اللِّسَانِ :

اضْبِرُوا عَلَى النَّعْمَاءِ ، وَصَابِرُوا عَلَى الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ،
 وَرَابِطُوا فِي دَارِ الْأَعْدَاءِ وَاتَّقُوا إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ .

- ونتعلم هنا أن الفلاح والنجاح في دين الإسلام ، واقتفاء
 شرائعه ، والسعاة في انتهاجه ، والسوء والتعاسه في الانحراف
 السلوكي ، ولو تجمل بزينة أو حسن ورفاهية ، والسلام .

٣٧ / قلة العلماء :

(مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ)

• **ثمة مسائل في الشريعة وقضايا يتداولها الناس قد يدعون**

فهمها ، ولكن العلم بها قليل ، والناس مختلفون فيها ، ولا

يرع فيها إلا قلائل من العلماء ، لتضلعهم وخشيتهم ، أو فتح

من الله عليهم ، أو سبق فهم سبقوا إليه ، كعدة اهل الكهف ،

مع أنها ليست من مهمات المسائل ، ولكن لما خاضوا فيها

كشفها الله لهم ، واختص بعلمها ، وأثنى على من علمها

ودراها..

• **ونستفيد هنا خلق التواضع العلمي ، وعدم الخوض بلا**

دراية ، والعكوف الطلبي الواسع ، ورد العلم إلى الله ، وأن

الحدائق قليل ، وأن ليس كلُّ متحدث في العلم بعالم بصير..!

• وللعلم المتقن الفسيح مقدمات^{٦٤} من الجِدِّ والمثابرة

والاهتمام ، حتى يصل إلى درجة الرسوخ والإتقان ، ولذلك

كان ابن عباس رضي الله عنه يتفاخر بأنه من القليل الممدوح

هنا كما تقدم التنبيه عليه .

• وفيما يبدو أنها سيقت للمدح هنا، كقوله تعالى : (وما آمن

معه إلا قليل) سورة هود . وقوله : (وقليلٌ من عبادي

الشكور) سورة سبأ . وقوله عز وجل : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) سورة ص . ويروى عند

ابن أبي شيبة في المصنف ، أن رجلاً عندَ عُمَرَ رضي الله عنه

قال : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْقَلِيلِ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا هَذَا الَّذِي

تَدْعُو بِهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : " وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي

الشُّكُورُ " فَأَنَا أَدْعُو أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ أَوْلِيَّكَ الْقَلِيلِ ، قَالَ :
فَقَالَ: عُمَرُ : كُلُّ النَّاسِ أَعْلَمُ مِنْ عُمَرَ .

- وإنما يقلُّ العالمون بالله وبدينه، بسبب سعة العلم، وضعف الإقبال عليه، واحتمال شدائده، كما صنع موسى عليه السلام وركوبه البحر وهو نبيُّ مكرم، ورسول مرسل..! ولم يمنعه ذلك من إعادة التعلم، واكتشاف الجديد، والاعتراف بحاجته، والتفقه في شرع الله وخلقه . والله الموفق .

٣٨ / قصور الإنسان:

(لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

• الغيبُ كُلُّهُ لله، أوله وآخره ، والإنسانُ يتقاصر عن ذلك كله،

وقد بدا في القصة سعة علم الله تعالى، وأنَّ الكونَ غيبٌ

وشهادة، وابن آدم عاجزٌ عن إدراك كل عالم الشهادة ، فمن

باب أولى جهلهُ بعالم الغيب الذي هو من اختصاص المولى

تبارك وتعالى ، قال في محكم كتابه: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)

سورة النمل . لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل ، فإنه

المنفرد بذلك وحده ، لا شريك له ، كما قال : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) الآية [الأنعام : ٥٩] ، وقال : (إِنَّ

اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا
 تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
 تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان : ٣٤] ، والآيات في هذا
 كثيرة .

- ففي الكون غيوبٌ، وفي العلوم وأحداث الناس غيوب لا يحيطُ بها إلا اللهُ تعالى، وهذا من علامات نقص الإنسان وضعفه... (إنه كان ظلوما جهولاً) سورة الأحزاب .
- ونتعلم هنا اختصاص الغيب بالله تعالى، وقد احتوت قصة الفتية صوراً من أشكال الغيب، كزمنهم ومدتهم وعدتهم، ولم يعرفها رسول الله ولا صحابته، ولا أهل الكتاب في زمانهم، فوجب التوقف، والانتفاع بهدي القرآن في ذلك،

واعتراف المرء بعجزه وقصوره ، كما قد قال في نظائرها من

القصص والأخبار .. (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا

كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) سورة

يوسف . والله الموفق .

٣٩ / اتخاذ الكلاب (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَيْدِ..)

- لما ذكرَ اللهُ تعالى شأنَ كلبِ أهلِ الكهفِ ، توهم بعضُ الناسِ جوازَ تربيةِ الكلابِ ، واتخاذها والتودد إليها ، لأنهم مؤمنون صالحون، فنصنع كما يُصنع في المجتمعات الغربية، ...! والصحيح حرمةُ ذلكَ في ديننا ، وعدم جوازه إلا في الحاجات المرخصة، في الصيد أو حراسة الماشية والزرع .
لما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطًا إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ) . وفي رواية : (فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ) .

- وأما إشكالية وجود الكلب مع الفتية الشباب البررة ، فقد أجيب عنه بانه كلبٌ صيدٍ لبعضهم..! وكان يحرس عليهم الباب. وهذا من سجيته وطبيعته، حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب بالوصيد أي الفناء ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب - كما ورد في الصحيح - ولا صورة ولا جنب ولا كافر، كما ورد به الأحاديث ، وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال. وهذا فائدة صحبة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكرٌ وشأن. وقد قيل: إنه كان كلب صيد لأحدهم، وهو الأشبه عند أكثر المفسرين .

• فإذا تحجج بعضهم بكلب أهل الكهف ، فاعلم أنه كان

كلب صيد وحراسة ، ولم يدخل معهم الكهف ، بل كان عند

بابهم كالحارس لهم من الجنود والوحوش ،

والحشرات...! وعليه فليس فيه دليل شرعي على اتخاذ

الكلاب، وتبقى هي حيوانات نجسة معروفة، لا تتخذ إلا

فيما رخص فيه الشارع الحكيم .

• والرفق بالحيوان مطلوب بالصدقة والإحسان ، وعدم

أذيتها وليس بتربيتها وإدخالها المنازل، فقد قال صلى الله

عليه وسلم: (لا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَصَاوِيرٌ) .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: " والكلب يجوز اقتناؤه للصيد

والزراع والماشية، وإذا جاز لم يمنع من دخول الملائكة، فهو

كَلْبٌ مَأْذُونٌ فِيهِ، إِنَّمَا يَمْنَعُ غَيْرَ الْمَأْذُونِ فِيهِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ

الصورة المأذون فيها التي تُداس لا تمنع، إنما يمنع دخول

الملائكة الشيء الممنوع من الكلب والصورة " . **واللهُ تعالى**

أعلم.

٤٠ / القرآن الكافي : (وَأْتَلُ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ)

- في القرآن كفايةً لنا، وتعريفٌ وتبصير، وحلٌ لكثير من مشكلاتنا، وجواب لما يعتلج في صدورنا، (قد جاءكم برهانٌ من ربكم، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) سورة النساء. ولذلك عقبَ القصة وجَّهه تعالى إلى تلاوة كتابه والاستهداء بأنواره سُبْحَانَهُ، حيث لما ذكر قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكُهْفِ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهِ ﷺ وَدَلَّ اشْتِمَالُ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا عَلَى أَنَّهُ وَحْيٌ مُعْجِزٌ، أَمْرُهُ جَلٌّ شَأْنُهُ بِالمُوَاطَبَةِ عَلَى دَرْسِهِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْتَلُ﴾ وهو أمرٌ مِنَ التَّلَاوَةِ بِمَعْنَى

القراءة؛ أي: لازم تلاوة ذلك على أصحابك أو مُطلقًا ولا
تكثر بقول من يقول لك: انتِ بقُرآن غير هذا أو بدله .

• وقيل التلاوة: مُتعلق بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾

أي: قُلْ لَهُمْ ذَلِكَ وَاثُلْ عَلَيْهِمْ أَخْبَارُهُ عَنْ مُدَّةِ لَبِثِهِمْ ، فالمرادُ
بِما أُوحيَ إلخ ما تَضَمَّنَ هذا الإخبارَ ، وهذا دُونَ ما قَبْلَهُ
بِكثيرٍ ، والمُعَوَّلُ عَلَيْهِ ، أَنَّ المرادَ بِما أُوحيَ ما هو أعمُّ ممَّا
تَضَمَّنَ القِصَّةَ وَغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِهِ تَعَالَى . (لا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ

تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا) قِيلَ : هُوَ مِنْ تَمَامِ قِصَّةِ أَصْحَابِ

الكَهْفِ ، أَي اتَّبَعَ الْقُرْآنَ فَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَا خُلْفَ فِيهَا

أَخْبَرَ بِهِ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ . وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : لَا مُغْيِرَ لِمَا

أَوْعَدَ بِكَلِمَاتِهِ أَهْلَ مَعَاصِيهِ وَالْمُخَالِفِينَ لِكِتَابِهِ . (وَلَنْ تَجِدَ)

أَنْتَ (مِنْ دُونِهِ) إِنْ لَمْ تَتَّبِعِ الْقُرْآنَ وَخَالَفْتَهُ. (مُلْتَحِدًا) أَيِ
مَلَجًا.

- وفي ذلك درسٌ لنا في التعلم من القرآن ، وطريقة ذكره لتلك
المغيبات والقصص العجيبة، وأن لا يصغى إلى أخبار غيره
من الإسرائيليات الملفقة ، والتي تنافي القرآن منهجاً وأدباً.
والقرآن مع اختصاره لبعض المواضع، إلا أنه يكتفي بجوهر
القصة وينبه على أحسن دروسها ، ويحذر من الظنون
والمبالغات فيها، أو التقول بلا علم وفهم. (نَحْنُ نَقُصُّ
عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ). فاللهم
ارزقنا فقهه، ووفقنا لتلاوته وحسن تدبره ، والله الموفق .

٤١/ هيبة أهل الحق:

(لوليت منهم فراراً)

• هم في لحظة فرار وهروب، وانعزال عن الواقع الاجتماعي

إلى كهف للعبادة، والأمان الروحي والجسدي، فيضرب الله

عليهم النوم ويسكنهم، وينصبُ المهابة التي في داخلها

الشجاعة، التي تصد كل معتدٍ ومطالع... (لو اطلعت عليهم

لوليت منهم فراراً). فانتقلوا من حالة الرعب إلى حالة القوة

والشجاعة... وصار شجعانُ الجنود يذلون وينفرون منهم

رعباً وانهماماً... وهذه آيةٌ جديرة بالتأمل.

• وقد سبقت الإشارةُ تقريباً، إلى هيبتهُم التي ألبسهم الله تعالى

إياها، ولكننا نقصدُ هنا تحولهم من حالة الضعف إلى القوة،

ومن المخافة إلى الشجاعة والمهابة ، وهم في وضع من النوم عميق، وإخلاقٍ من الراحة طويل...!! إنَّ في ذلك لعبرةً لأولي الأَبصار..

- **وسببُ ذلك صدقُهم مع الله،** ودعواتهم بالرحمة والرشاد ، واستجابة المولى لهم بتحقيق آمالهم ، وتنجيتهم من بطش القومِ المجرمين، بل جعلهم في قمة الشجاعة والمنعة، لا يُخلَصُ إليهم، ولا تنتزعُ أجسادهم ، ولا يُنال من مكانهم وكهفهم ، حتى صار الكهف موضعَ الرعب والتخوف القاتل...

- **وجعلهم سبحانه وتعالى محلَّ اعتبار العالم،** وجعلهم قصةً عظيمةً، ذاتَ حكمٍ بالغة ، وعجبٍ ملفتٍ مبهر...! فسبحانَ

من جعل آيته في أضعف خلقه، الفار المطارد، وقلدهم معالم
القوة والهيبة، وكتب لهم الظفر والنجاة .

- **وكم من علماء ضعفاء ، وصلحاء أولياء ، يحلّهم الله تعالى**
بشجاعةٍ داخلية وخارجية ، فيرهبهم خصومهم والمطلعون
عليهم .. قال عبدالرحمن بن حرملة الأسلمي رحمه الله : "
ما كان إنسانٌ يجترئ على سعيد بن المسيّب يسأله عن شيء
حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير " .

- **وقال أيوب السّخّتياني رحمه الله : " كان الرجلُ يجلسُ إلى**
الحسن البصري ثلاثَ سنين ، فلا يسأله عن شيءٍ ؛ هيبةً له " .
وقال أبو مصعبٍ : " كانوا يزدحمون على بابِ مالك بن
أنس ، حتى يقتتلوا من الزّحام ، وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا

إلى ذا، قائلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه،
وكان يقول: لا، ونعم، ولا يقال له: من أين قلت ذا". وكذا
كل من عظم الله واستولى ذكر الله على حياته، وعمل بما
علم، بلغه الله المقام الأرفع، وجعله رأساً في الناس، عزيزاً
مهيباً، ولو قلّ جاهه، وهانت ملابسه. والله الموفق.

٤٢ / الملجأ المستديم :

(وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا)

- ملجأ كل مؤمن على الدوام هو الله تعالى ، ويشهد ذلك ساعات المحن والبليات (ففروا إلى الله) . وبعد أن علم رسوله قصة الكهف ، وأراه دلائله فيها ، وأمره بتلاوة القرآن والاستنارة به ، ذكره بتوحيده ودوام الالتجاء إليه تبارك وتعالى ، كما قال (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) أي : لن تجد من دون ربك ، ملجأ تلجأ إليه ، ولا معاذا تعوذ به ، فإذا تعين أنه وحده الملجأ في كل الأمور والحاجات ، تعين أن يكون هو المألوه المرغوب إليه ، في السراء والضراء ، المفتقر إليه في جميع الأحوال ، المسئول في جميع المطالب والرغبات .

• وهو الصمدُ سبحانه للعباد في حوائجهم ومسائلهم ،

يُقصد في الدعاء، ويلتجأ إليه على الدوام. وفي الحديث

الصحيح من دعاء النوم: (اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ،

وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ

ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا

إِلَيْكَ،...).

• وكان في قصة الفتية درسُ الالتجاء إلى المولى الكريم،

ورفض الشرك والإلحاد ، فقد لجأوا إليه لجوء الصدق،

ومالوا إليه ميلاً الحب والاعتماد ، وجعلوا من الكهف

موضعَ عبادتهم واستغاثتهم ، وقطعوا كل الأجل دون الله

تعالى ، وهذا هو جوهر التوحيد، ولب الإيمان ، ومن بوابته
قبلهم الله ورضي عنهم، وفتح عليهم من أفضاله وخيراته .

• ومن الناحية العقلية هل ثمة ملتحذ وملتجأ سوى الله،

يعني من الفقر، ويؤمن من الروع، ويهدي من الضلالة،

ويسعد من التعاسة..؟! لقد سقط الإنسان وشقي أن اعتقد

وجود شيء من ذلك..! فهام الكفرة الفجرة في شقاء مزمن،

وبلاء موحش ، ومحن متراكمة، ولم تغن عنهم تلك

المعبودات من دون الله .. (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)

أي لا أحد أجهل منهم ولا أظلم . (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا

لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) سورة الأحقاف .

• والإيمانُ والصلوات نافذتان عظيمتان لتحقيق الالتجاء

قولاً وعملاً ، وطلباً وإخلاصاً ، ورغبة ورهبة، وخوفا

وطمعاً، ما صدقَ العبد في ذلك، وأدّاهما على الوجه

الشرعي المطلوب، والله الموفق .

٤٣ / مصداقية القرآن:

(لا مبدلَ لكلماته)

● وهذا من شرفِ كتابِ الله وجماله وسرِّ خلوده، أنه كتابُ

حق وصدق، لا يطرأ عليه التبديل ولا التحريف ، فكل

أخباره وأحاديثه محلُّ الصدق والتقدير ، وموطن الصحة

والتسليم ، ومن ذلك خبره عن الشباب الفتية وما جرى في

حقهم .. (إنَّ هذا لهو القصص الحق) وكذلك كلُّ أخبار

المغيبات . وما قضاه الله كوناً في خلقه لا تبديل له سبحانه، ما

شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو القدير العليم .

● وهذا مما يزيدنا ثقةً في كتاب ربنا، فتعاهده بالتلاوة، ونرده

بالعمل ، ونتعلمُ منه الحقائق ، ونجعله مصدرًا للأحداث

وحل المعضلات ، وقد قال سبحانه في أول السورة المباركة

(: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ

عَوَجًا) سورة الكهف . أي : لم يجعل فيه اعوجاجا ولا زيغا

ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيما ، كما قال : (قرآنا عربيا

غير ذي عوج) سورة الزمر .

● وكلمات الله التامات إما أن تكون (كلمات كونية قدرية)،

وإما (كلمات شرعية) .. أما الكونية فهي الكلمات التي يدبرُ

بها الله تعالى أمر الخلائق وشؤونها، والتي ذكرها عز وجل

في قوله: { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }

[النحل: ٤٠] فيحمي الله تعالى المؤمن بكلماته الكونية

ويدفع عنه ما يضره...، مثل ما علمهم أن يقولوا: (أعوذ

بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر... وهي التي يكون الله تعالى بها الأشياء ويقدرها، فهي التي لا يجاوزها بر ولا فاجر.

- أما كلماته الدينية الشرعية كأوامره وشرائعه ، فإن الفجار يتجاوزونها، يعني: يعصون أوامره، ويرتكبون نواهيه، بخلاف الكلمات الكونية فإنه لا أحد يستطيع أن يتعداها، فالكون كله يسير على وفق تقديره وتكوينه جل وعلا، والعباد كلهم مسخرون تجري عليهم أقداره وقهره، ولا أحد يستطيع أن يخالف قدر الله جل وعلا وتكوينه (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) ، والله تعالى أعلم وأحكم .

٤٤/ التعلق بالآلهة :

(هُوَئِلاءِ قَوْمِنا أَتَخَذُوا مِنْ ذُنُوبِنا إِلهَةً)

• **تتعجبُ لماذا ينحرفُ الإنسان ، ويعرضُ عن الإله الحق ،**

والفطرة السليمة، ويلجأ إلى دين يصنعه أو يؤلفه ، وقد

ظهرت له آيات السموات والأرض الدالة على ربنا المعبود ،

وخالقنا المأمول ..! والسببُ إيغاله في المعاصي ، أو تعظيمه

لتراث الآباء ولتقليد الأعمى (**إنا وجدنا آباءنا على أمة**) أي

طريقة ، فالتزموها بلا عقولٍ ولا استفهام ..!

• **وتندهشُ من هذا الاتخاذ الانحرافي والسلوك الوثني ، وقد**

أُمرتوا بآلاءِ الله ، وأسبغهم النعم الظاهرة والباطنة ، ولكنهم

مردة جحدة.. (إن الإنسان لربه لكنود). سورة العاديات .

وتعاضدوا على تكذيب الرسل والكتب، عنادًا وتعسفًا.

• وكذلك من أسباب الانحراف غلوهم في الصالحين

وتقديسهم لهم، واعتقاد فضلهم عند الله .. ومنها غفلتهم

عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله الشرعية، وانبهارهم

بمعطيات الحضارة المادية؛ واعتزازهم بما عندهم من العلم

والخرافة، حتى ظن بعضهم أن ذلك من مقدور البشر وحده؛

فصاروا يُعظِّمون البشر، ويضيفون هذه المعطيات إلى

مجهوده واختراعه وحده، كما قال قارون من قبل: (قَالَ إِنَّمَا

أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) [القصص: ٧٨]، وكما يقول الإنسان

(هَذَا لِي) [فصلت: ٥٠]، (إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَيَّ عِلْمٍ) [الزمر:

. [٤٩]

• وينحرفُ الإنسانُ إذا تعلقَ بدنياه ولم يتفكر في خلقه

ومصيره ، وعاش للذته وشهوته، وعاش جاهلاً غيرَ

مستبصر ولا مستنير، يغوص في الخرافة، ولا يتفكر في العلم

والهداية، لأنَّ الفطرة السليمة تقود إلى الله، وتكشف الأنوار ،

وتعري الفساد والضلالات ..

• ثم إن فسادَ هذه الآلهة ظاهرٌ جليٌّ في عجزها وهوانها ،

وعدم قدرتها على النفع والإفادة ، ولكنهم قلما يتفكرون في

ذلك ، ولا يريدون الخروج من هذه التبعية الساقطة، والعماية

المغلقة ، والله المستعان .

٤٥ / الكذب مقدمة الانحراف :

(فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً)

• توحيدُ الله حقٌّ وصدق، وأنوار ورحمات، والشركُ به

كفر وضلالة، وغواية وانحراف، وليس ثمة دليل على

صحة الطريق، ولا سلامة السبيل.. فهلا قدموا دليلاً بيناً،

أو حجةً صالحة لتلك الأصنام... وليس ثمة شيء.. إذن

هم كذبة، والكذب الإخبارُ بخلاف الواقع، ولذلك لا

أظلم من هولاء الكذبة، الذين زعموا نفعها وصلاحيتها..

• **ومن ظلمهم البين**، اعتقادُ عظمتها عند الله، وأن الله

أمرهم بذلك ورخصها لهم، وهذا إيغال في الكذب

والجهالة .

- **ويوم القيامة تتبرأ الآلهة منهم ، ويلعن بعضهم بعضاً...**
(وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول
إنكم لكاذبون). أي وإذا أبصر المشركون يوم القيامة
آلهتهم التي عبدوها مع الله، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا نعبدهم من دونك، فنطقت الآلهة بتكذيب من
عبدوها، وقالت: إنكم -أيها المشركون- لكاذبون، حين
جعلتمونا شركاء لله وعبدتمونا معه، فلم نأمركم بذلك،
ولا زعمنا أننا مستحقون للألوهية، فاللوم عليكم.
- **والسبب في ذلك مكابرة الكاذب ورفضه الرجوع إلى**
الحق، ورغبته في إغراء العامة، والتأكل بذلك المنهج

الزائغ . وحينما يكون الكذب في منهج العبد ودينه الأكبر ،
وهدايته ، ومنبع سعادته ، فقل عليه السلام ، وكبر أربعاً
لوفاته ، لأنه افتتح حياته بفساد الطريق وظلام الوجهة ،
وسيسري عليه الكذب والدجل في باقي حياته ، ولن يجد له
ملجأً ولا انتفاعاً في الحياة ، والله المستعان .

٤٦ / دور أهل الغلبة :

(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لِنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا)

• هم الذين غلبوا بقوتهم ونفوذهم، وحكي فيها قولان :

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ. وَالثَّانِي: أَهْلُ الشَّرْكِ مِنْهُمْ،

فَاللَّهُ أَعْلَمُ .. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ

الْكَلِمَةِ وَالنُّفُوزِ، وَلَكِنْ صَنِعَهُمْ فِيهِ نَظْرٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

(لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ

مَسَاجِدَ). يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا. وَقَدْ نُقِلَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ

بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ لَمَّا وَجَدَ قَبْرَ دَانِيَالَ فِي زَمَانِهِ

بِالْعِرَاقِ، أَمَرَ أَنْ يُخْفَى عَنِ النَّاسِ، وَأَنْ تُدْفَنَ تِلْكَ الرَّقْعَةُ الَّتِي

وَجَدُوهَا عِنْدَهُ، فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَلَا حِمِ وَغَيْرِهَا .

- وأهل الغلبة قد لا يبالون بالنهج الصحيح ، ما لم يدن منهم العلماء، ويوجهونهم إلى الحق ، لانهم يتحركون وفق أهوائهم أو من يشير عليهم بجهل وأمور يزعم أنها مصالح ، ولذلك كان قرب العلماء منهم، وانتشار المواعظ سبباً في انبلاج الحق ، لا سيما وقد أنكر ذلك صلى الله عليه وسلم، وبين أنه منكر حتى في شرائعهم.. (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

- وبعضهم في تحمس يعتقد أن ذلك هو الحق، والأليق بمقام الصالحين الناجين ، فيريد إبرازهم وإعلاء مكانتهم ..! فيغلون فيهم، فيقعون في الشرك والوثنية ...! وقس على ذلك كثيراً من المسائل، التي يخفي فيها دور العلماء ،

وأصحاب الفقه الشرعي ، وفي الحديث الصحيح : (الدين النصيحة).

- والمنهج الشرعي في حب الصالحين هو في اتباع منهجهم والثناء عليهم ، وإبراز قصتهم وثباتهم التاريخي ، وليس في بناء مسجد أو دعائهم من دون الله ، كما ضلَّ بسبب ذلك قوم نوح وغيرهم من الأمم ، والله المستعان .

٤٧ / المستقبلُ بيد الله :

(وَلَا تَقُولْنَ لِمَا يُرِيدُ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا)

• مهما كانت قوتك وقدراتك، وطموحك الصاعد، فعلق

الأمر بيد الله، وقل إن شاء الله ، كما في التفسير الآخر ..

(ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله ..).

• والسببُ جهلك بالغد ، وأن كل شيء مرصود ، وحضور

المنيا في ذهن المسلم ، ووجوب التوكل على الله ، وتقال

النفس في كدها وتخطيطها ...! وليعلم أن المستقبل بيد الله

وهو خالق هذا الكون وعالم بأسراره ومدبر أموره، فهو

الضامن للحياة والأرزاق والأمن وجميع مقومات الحياة،

(وفي السماء رزقكم وما توعدون)، (وما من دابة في الأرض

إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقَهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ

مُبِينٍ). فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ رِزْقَهُ بِيَدِ خَالِقِهِ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبَهُ

لِذَلِكَ، ارْتَاحَتْ نَفْسُهُ وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ، وَلَمْ يَبَالِ بَعْدَ ذَلِكَ

بِالتَّبَعَاتِ ..! كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ

مُكْتَرِثٍ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ ..

● وَمَعَ أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالْكَدِّ وَالسَّيْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي حَسَبِهِ

الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَهَذِهِ عَقِيدَةٌ مُسْتَقَرَّةٌ فِي دَاخِلِ قَلْبِ

الْمُؤْمِنِ وَأَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فَهُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ

يُظْهِرُ فَقْرَهُ وَحَاجَتَهُ بِقَوْلِهِ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَيَعْمَلُ وَيَجِدُ ابْتِغَاءَ مَا

عِنْدَ اللَّهِ . وَلِذَلِكَ عَوَّتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ

(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا).

• ومعناها : أي كل نفسٍ برّةٍ كانت أو فاجرةً ، كما يدُلُّ عليه

وُقُوعُ النَّكِرَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ ﴿مَازَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أَي فِي الزَّمَانِ

الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، أَوْ نَفْعٍ وَضَرٍّ ، أَوْ عُلُوٍّ وَنَزُولٍ ، وَمَا

شَابَهُهُ مِنَ الشُّؤْنِ وَالْأَحْوَالِ .

• وهذا التعليقُ توحيدِي إيماني ، يجعل العبدَ معلقاً بخالقه

ورازقه ، متوكلاً عليه ، طالباً عونَه وتوفيقه (أنتم الفقراء إلى

الله ، والله هو الغنيُّ الحميد) سورة فاطر . قال عليُّ رضي الله

عنه ، " الرزق رزقان : فرزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن لم

تأته أتاك " . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : أمرنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدّق ، فوافق ذلك

عندي مالاً ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكرٍ ، إن سبقته يوماً ، قال :

فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما أبقيت لأهلك))، قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكل ما عنده،

فقال: ((يا أبا بكرٍ، ما أبقيت لأهلك))، قال: أبقيت لهم الله

ورسوله - أي رضاهما وحسن الظن - ، قلت: والله لا أسبقه

إلى شيءٍ أبدًا؛ حديث حسن كما عند الترمذي ، والله

الموفق.

١٤٨ / بشرية أهل الكهف :

(وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)

• أهل الكهف من جملة البشر والأقربُ ظهورهم في الفترة

ما بين عيسى ونبينا عليهم الصلاة والسلام، وقيل قبل

ذلك، ولكن لغرابة ما في القصة والمنام العظيم، وهيبتهم

الخاطفة، زعم بعض المعاصرين أنهم من الجن، وهذا لم

يقل به عالمٌ من قبل، بل هم بشر، لاذوا بربهم وخالقهم .

والتحدي بهم كونهم بشرا في حركتهم وهروبهم ، ونومهم

واستيقاظهم وذهابهم للمدينة وتلفهم ، قال تعالى :

(وَلِيَتَلَطَّفْ) أَي: يُدَقِّقِ النَّظَرَ حَتَّى لَا يُعْرِفَ أَوْ لَا يُغْبَنَ،

والأولى أولى، ويؤيدُهُ ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ أَي: لَا

يَفْعَلَنَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى الشُّعُورِ وَيَتَسَبَّبُ لَهُ، فَهَذَا النَّهْيُ يَتَضَمَّنُ
التَّأْكِيدَ لِلأَمْرِ بِالتَّلَطُّفِ .

- **ولو صح ذلك الزعمُ لكان التحدي بهم ضعيفاً ، والحكمةُ**
منهم قليلةٌ وغير مهتم بها، ولم يكن لنا فيهم عظةٌ ولا عبرة ،
وحاشا لمنهج القرآن توخي ذلك. ولقال المتدبرون هؤلاء
جن ولا علاقة لنا بهم...!!

- **وقد سماهم الله فتيةً ليؤكد بشريتهم ، وجعلهم يتناظرون**
مع قومهم ، ويعتزلونهم ، ويفرون مهم ويفعلون فعل
الأسباب البشرية ، ووصف سبحانه رقودهم واستيقاظهم،
وشهود الكلب معهم .

• **ولذلك اعتقادنا لبشريتهم، يزيد من تأملنا لهم، وحسن**

تدبير الله لهم ولشأنهم، ونستلهم الدروس الإيمانية كلَّ

جمعة ، ونحن نتدبرها، ونعاين حفظ الله لعباده الصالحين

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق). **واللهُ الموفق .**

٤٩ / فواتح سورة الكهف :

(الحمد لله الذي أنزل...)

- ذكرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا عَاصِمٌ مِنْ فِتْنَةِ النَّسِيحِ الدَّجَالِ الْكَبْرِى فِي آخِرِ الزَّمَانِ .. فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ الدَّجَالِ) . وَفِي رَوَايَاتٍ أُخْرَى عِنْدَ مُسْلِمٍ قَالَ : (مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ) . وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ - وَقَالَ الْأَبَانِيُّ : صَحِيحٌ - (مَنْ حَفِظَ مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ) . قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : " قِيلَ : سَبَبُ ذَلِكَ مَا فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ ، فَمُنْتَدِرُهَا لَمْ يَفْتَنَّ بِالْدَّجَالِ ، وَكَذَا فِي آخِرِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَفْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا) .

• وقيل : إِنَّ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ ذَكَرْتَ تَعْظِيمَ اللَّهِ وَتَوْحِيدَهُ ،

وَإِنذَارَ مَنْ ادَّعَى الْبِنُوَّةَ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ؛ وَمِنْ ثَمَّ ادَّعَى الْأَلُوْهِيَّةَ

لِغَيْرِ اللَّهِ ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ

وَلَدًا } [الْكَهْفُ : ٤] ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الدَّجَالَ سَيِّدَعِي الْأَلُوْهِيَّةَ ؛

وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ الْمَشَابَهَةُ ، كَمَا أَنَّ الْآيَاتِ الْعَشْرَ أُدْرِكْتَ

قِصَّةَ الْفَتِيَّةِ الَّذِينَ اعْتَزَلُوا فِي الْكَهْفِ ، وَفِيهَا مِنَ الْعَجَبِ

الْعَجَابِ ، وَالذِّكْرَى لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ ، وَذَكَرْتَ الْفِرَارَ وَالْعِزْلَةَ ،

وَهِيَ وَسِيلَةٌ مَهْمَةٌ مِنْ وَسَائِلِ تَجَنُّبِ الْفِتَنِ ، فَقَدْ رَوَى أَبُو

دَاوُدَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ سَمِعَ بِالْدَّجَالِ فَلْيَنَأْ عَنْهُ ؛ فَوَاللَّهِ

إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ

مِنَ الشُّبُهَاتِ) .

- **أَمَّا مَنْ قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَلْقَاهُ فليستعن عليه بقراءة الآيات العشر الأولى من الكهف؛ فقد روى مسلم عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ) .**
- **ومثلُ هذا النص كافٍ في حفظها وتدبرها ، واستلهاها عند الفتن، لا سيما فتنة الدجال المرعبة . ويبقى الذكر والقرآن دواءً ناجعاً لكل الفتن الطارئة للإنسان ، لما فيه من معالم الثبات ، وتقوية القلب، وتصحيح المعتقد، والاعتماد على الله، والتسلح بأقوى الحصن والقلاع، المواجهة للشرور والمخاطر ، والله الموفق .**

١٥٠ / وصفهم وسمتهم:

(أصحاب الكهف والرقيم)

• هكذا نعتهم وسمُّتهم في كتاب الله، وأعرض القرآن عن

ذكر أسمائهم وصفاتهم التي يتطلع إليها الناس، واكتفى

بإيمانهم وبيان خبرهم العظيم، وارتباطهم بالكهف الإيماني

المبارك بحلولهم، ورحمات ربهم المنشورة، الفائضة

عليهم .. (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ..) .

• وقد اختلفَ في معنى الرقيم ، وأظهر الأقوال ، أنَّ الرَّقِيمَ

مَعْنَاهُ: المَرْقُومُ، فَهُوَ "فَعِيلٌ" بِمَعْنَى "مَفْعُولٍ" مِنْ: رَقَمْتُ

الكِتَابَ: إِذَا كَتَبْتَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾

سورة (المطففين: ٩) . وهو كتابٌ كانَ عندهم فيه

شَرَعُهُمُ الَّذِي تَمَسَّكُوا بِهِ، أَوْ لَوْحٌ مِّنْ ذَهَبٍ كُتِبَتْ فِيهِ
 أَسْمَاؤُهُمْ وَأَنْسَابُهُمْ وَقِصَّتُهُمْ وَسَبَبُ خُرُوجِهِمْ، أَوْ صُخْرَةٌ
 نُقِشَتْ فِيهَا أَسْمَاؤُهُمْ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

- وهم طائفةٌ واحدةٌ على الصحيح ، خِلافًا لِمَنْ قَالَ: إِنَّ
 أَصْحَابَ الْكَهْفِ طَائِفَةٌ، وَأَصْحَابَ الرِّقِيمِ طَائِفَةٌ أُخْرَى ،
 وَلِيَعْلَمَ أَنَّ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَأَسْمَاءَهُمْ، وَمَوْقِعَهُمْ
 مِنَ الْأَرْضِ شَرْقًا أَوْ غَرْبًا وَالتَّخْرِصَاتِ فِيهَا ، كُلُّ ذَلِكَ لَمْ
 يَثْبُتْ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَى مَا فِي الْقُرْآنِ،
 وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ إِسْرَائِيلِيَّةٌ لَا يَطْمَأَنُّ إِلَيْهَا ،
 وَتَصُورٌ حَالِيًا فِي الْأُرْدُنِّ فِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَقْصِدُهَا
 السِّيَاحُ ، وَلَيْسَ لَهَا مَسْتَدٌ صَحِيحٌ .

- **والمهم في القصة دلائلها الإيمانية ، ودروسها العقدية ،**
وعظاتها الدالة على عظم التوحيد والرحلة إلى الله ،
وحاجة المؤمن إلى الثبات، ومقارعة الباطل، والصدع
بالحق ، والخلوة بالله، وفضل الشباب وحسن تربيتهم،
وفضل الاجتماع والصدقة في ذات الله، وأن الأمور بيد الله،
لا تُعقب بحكمه، يعز من يشاء ، ويذل من يشاء، وهو
على كل شيء قدير، **والله الموفق .**

تمت الخمسون رؤية ، فإلى الله

الحمد والثناء...

فهرس الموضوعات

١	المفتاح
٦	١ / الآيات العجيب
٩	٢ / فتية شباب
١٢	٣ / الاستصمام المبدئي:
١٥	٤ / فضل الرشد :
١٩	٥ / النوم الهنيء:
٢٣	٦ / البعث بعد اللبث الطويل
٢٧	٧ / النبأ الحق
٣٠	٨ / فتية مكتملون:
٣٤	٩ / الربط القلبي:
٣٦	١٠ / القيام المجيد:
٣٩	١١ / الفتية الوعاة :
٤٢	١٢ / العزلة المشروعة :
٤٥	١٣ / التفاؤل الملهم :
٤٨	١٤ / الآيات المسخرة :
٥٢	١٥ / النوم المفزع :
٥٥	١٦ / البعث المنتظر:
٥٨	١٨ / التقوى الممتحنة:
٥٨	(فلينظر أيها أركى طعاما ..)

- ١٩ / الفقه الدعوي: ٦٢
- ٢٠ / حجة البعث والإعادة: ٦٤
- ٢١ / جدلية الآية العظيمة: ٦٧
- ٢٢ / الاختلاف العددي : ٧٠
- ٢٣ / المرء العلمي: ٧٤
- ٢٤ / الذكر الحضوري: ٧٧
- ٢٥ / فضل الرشد مرةً أخرى: ٧٩
- ٢٦ / اللبث الحقيقي: ٨١
- ٢٧ / سعة العلم الإلهي: ٨٤
- ٢٨ / فضل الصحبة الصالحة: ٨٧
- ٢٩ / حسن التصرف: ٨٩
- ٣٠ / نصرة الفئة المستضعفة : ٩٢
- ٣١ / الاقتران التربوي : ٩٥
- ٣٢ / الفتنة في الدين: ٩٨
- ٣٣ / حلاوة الإيمان: ١٠١
- ٣٤ / الشطط والأقوال المذمومة: ١٠٥
- ٣٥ / تسهيل الصعاب: ١٠٩
- ٣٦ / الفلاح الممتع: ١١٣
- ٣٧ / قلة العلماء : ١١٧
- ٣٨ / قصور الإنسان: ١٢٠
- ٣٩ / اتخاذ الكلاب ١٢٣
- ٤٠ / القرآن الكافي : ١٢٧
- ٤١ / هيبة أهل الحق: ١٣٠
- ٤٢ / الملجأ المستديم : ١٣٤

- ١٣٨ /٤٣ مصادقية القرآن:
- ١٤١ /٤٤ التعلق بالآلهة:
- ١٤٤ /٤٥ الكذب مقدمة الانحراف:
- ١٤٧ /٤٦ دورُ أهل الغلبة:
- ١٥٠ /٤٧ المستقبلُ بيد الله:
- ١٥٤ /٤٨ بشرية أهل الكهف:
- ١٥٧ /٤٩ فواتح سورة الكهف:
- ١٦٠ /٥٠ وصفهم وسمتهم: